

عدد مميز
كلمة حق
في عامها الأول
العدد الثاني عشر، يوليو ٢٠١٨
هدية العدد كتاب ..
ما لا نعرفه
عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم

محتويات العدد

الثاني عشر ، يوليو 2018

كَلِمَةُ حَق
klmtuhaq
www.klmtuhaq.blog
دوريــة ثـقـافـيـة مـعـرفـيــة
نخبة من الكـتـاب والمفكرين



المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
معتز زاهر



الافتتاحية ....

عام على (كلمة حق)

محمد إلهامي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..
يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك..

هذا هو العدد الثاني عشر من مجلة "كلمة حق"، أي أن المجلة الوليدة قد أكملت من عمرها عاماً، وهذا بالنسبة لعمل تطوعي علامة من علامات الإنجاز، إذ الأعمال التطوعية بطبيعتها مهددة دائماً. كما أنه بالنسبة لعمل مُقاوِم علامة إنجاز أخرى؛ إذ المقاومة التي تنتمي للأمة جريمة في ميزان الفرعونية العالمية والفرعونية الإقليمية، وهذا العالم في هذه اللحظة يكاد أن يكون كله منظومة فرعونية قاهرة!

وأدل شيء على هذا أن المجلة ما كادت تصدر إلا وكُتِب عنها بعد ساعات تقريرُ على موقع إخباري تابع لجهات الأمنية، وعلى كل حال فإنهم لم يُقَصِّروا في المتابعة الدقيقة للمجلة، وهي متابعة فاقت توقعاتنا حقاً.. ولئن كنا نسأل الله لهم الهداية -كما أسلم سحرة فرعون من بعد ما كانوا يبذلون المجهود لتحصيل القرب منه- فإننا نخشى أن يطمس الله على قلوبهم فيكونوا كجنود فرعون: عذبوا السحرة الذين أسلموا مع أنهم رأوا نفس المعجزة، وخاضوا البحر وراء فرعونهم رغم أنهم رأوا بأعينهم معجزة انشقاقه لموسى!

وهكذا ما أبعد ما بين الخاتمتين رغم أن المعجزة واحدة والمشهد واحد! فالأمر ليس متوقفاً على عظمة المعجزة بل على استقبال القلب لها، ولقد سمع القرآن عمر بن الخطاب وسمعه كذلك أبو جهل، فأسلم هذا وصار فاروق الأمة وكفر هذا وصار فرعون الأمة، ولقد وصف الله قرآنه فقال {شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢].

وهذه فرصة نوجِّه فيها الكلام لأولئك الذين يعملون في جهاز الطغيان، إن أقصى ما يبلغه أحدكم أن يكون رئيسا كعبد الناصر أو السادات أو مبارك، فإما مات مسموما أو مقتولا أو خُلع، بل ولو أنه مات في السلطة لما أغنى عنه هذا من عذاب الله شيئا.. على أن هذا المنصب لا يصل إليه إلا النادر القليل، لقد اجتهد أن يصل إليه الأكثرون فماتوا دون ذلك، ماتوا بعد عزل وقهر أو نحر (سُمِّي انتحارا أو حادثة سير) فما بلغوا حظهم من الدنيا ولا نالوا نصيبا من الآخرة، خسروا الدنيا والآخرة.. ولقد كانوا مثلكم لا يتعظون بمصير الذين من قبلهم، فهم -كما وصفهم الله- {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩].

كانت فكرة المجلة بسيطة واضحة في أذهاننا وقد اجتهدنا أن تكون تطبيقاً لها.

إن القنوات والصحف ومواقع الانترنت والحسابات تفيض وتسيل بالكلام في كل اتجاه، ولا تشكو الأمة من قلة الكُتَّاب والمتحدثين ومن يتصدرون لموقع الفكر والتنظير والتوجيه، على أن الواقع أن أقل القليل وأندر النادر من أولئك الناس من إذا سُئِلوا: ماذا نفعل؟ لم نحصل منهم على شيء ذي قيمة.. إغراق في التنظير وانشغال بالقيود الأكاديمية للكتابة، ودفق متصل من البلاغيات والزخارف والكلام الذي لا ينبني عليه عمل ولا يقترب من الأسئلة الحرجة.. وهذا حال من يتصدرون موقع التفكير والتنظير للثورات، وهم أنفسهم قلة وسط من انشغلوا بالمناطق الفكرية الآمنة: كدقائق الفلسفة وغرائب الفقه وعجائب العلوم وطرائف الحياة.. إلخ!

" **فكانت الفكرة بسيطة:** يا معشر الذين تنصحون وتوجهون الثوار والمقاومين والمجاهدين: اكتبوا كلامًا إذا قرأه الثائر أو من يخطط لثورة استفاد منه، اكتبوا كلاما يمكن أن ينبني عليه عمل، اعتبروا أنكم تخططون لمن آمنوا بأهمية الرؤية والرسالة والتخطيط والعلم وقولوا لهم كلاما بعد تحقق هذا الإيمان! وهذا مجال واسع وفسيح أيضا لكنه يعاني ندرة المتكلمين فيه.. إنه لا قيمة لعلم ولا لتخصص إن لم يكن صاحبه يستطيع أن يصوغه في كلام مفيد ينبني عليه عمل، فلا فائدة لمن درس الإعلام إن لم يكن يستطيع أن ينصح ويوجه ويكتب كلاما مفيداً وعملياً في "كيف ينبغي أن يكون إعلام المقاومة"، ولا فائدة لمن درس السياسة إن لم يستطع أن يكتب كلاماً عملياً يحدد بها سياسة الثورة والمقاومة ويُشرح بها سياسة الخصوم والحلفاء وكيفية بناء العلاقة مع الأطياف المختلفة، لا فائدة للقانوني الذي لا يستطيع أن يحدد خطوات حركة المقاومة في لحظات إدارة الفراغ وإدارة النزاع أو في لحظات النصر الأولى... وهكذا في كل مجال، ومن المؤسف أن الثغور جميعاً تعاني الندرة والفراغ!

لذلك كتبنا في العدد الأول وكررنا في الثاني أن المجلة تستقبل المقالات من جميع القراء إذا اجتمعت فيها **ثلاثة شروط:** أن تكون علمية عاقلة لا عاطفية حماسية فإن الحماسة لا تنصر الحق ولا تفيد في بناء الوعي، وأن تكون في باب الثورة إذ هي قضية الأمة الراهنة وواجب الوقت، وأن تكون مفيدة لمن أراد العمل. **وشرط رابع فني:** أن ينشر باسم صاحبه لا باسم مجهول إلا إذا رغب كاتبها في الكتابة باسم مستعار وهو معروف لدينا بعينه، **وأخيراً** ألا تكون منشورة من قبل.

وبكل صراحة وشفافية نقول: إن العثور على مثل هؤلاء لم يكن سهلاً، كثير من المقالات التي جاءتنا لم تكن تنسجم مع هذا الخط، فإما غلب عليها الإغراق في التنظير أو اقتصرت على الدعوة للاهتمام بالتخطيط أو كانت تحلق بعيداً في مشارب معرفية أخرى، فضلاً عما رددناه من المقالات لأسباب فنية كأن يكون مقالاً مسروقاً أو ضعيفاً أو نشره صاحبه من قبل أو غير ذلك. كذلك فإن بعض المقالات قد دارت حولها نقاشات ساخنة بين فريق المجلة: هل تقع ضمن هذا الخط أم لا.. وكان رأي الشورى غالباً!



ونكرر الدعوة لكل صاحب قلم مميز أن يشاركنا بمقالاته ويراسلنا على بريد المجلة بها، klmtuhaq@gmail.com فالمجلة ليست حكراً على أحد، وهي تركز في نشرها للمقالات على مناسبة الموضوع لخط المجلة آنف الذكر لا على اسم الكاتب وشهرته.

هنا أنتهز الفرصة لأشكر أخي الحبيب معتز زاهر، مدير التحرير، ومحرك المجلة ورجلها النشيط.. كما أشكر من يقف وراء هذا المجهود الراقي في تصميم المجلة ويتحمل سيل طلبات التعديل والتصحيح والاقتراحات، ثم الشكر الوافر للكتاب الأكارم الذين اقتطعوا من وقتهم وجهدهم ما لو صرفوه في الكتابة لغيرنا لعادت عليهم أموالاً وأجوراً فجعلوا أجرهم عند الله، وأخص بالذكر منهم من تابعوا الكتابة معنا حتى الآن: المهندس أحمد مولانا وهو من فرسان القلم وذوي اليقظة والنباهة والرشد، والدكتور عمرو عادل وقد عرفته مخلصاً غيوراً كان السجن والفصل من الجيش أهون عليه من كتم الحق الذي يعرفه ويؤمن به، والأستاذ الصغير منير من أحبابنا في الجزائر وهو صاحب تجربة كفاح قديمة وقد جمعتنا الأقدار في إسطنبول، والأستاذ عبد الغني مزوز الفتى الصغير الكبير وصاحب النشاط الوافر والمتابعة الجادة، والأستاذة يسرا جلال الأديبة ذات القلم الرشيق التي تحول المادة الجافة إلى قصة عذبة.. وآخرون انقطعوا عنا انقطاعاً نسأل الله أن يكون مؤقتاً، ولا تثريب عليهم فكل جهد في خير سيصب في نهر الأمة الكبير نهاية المطاف.

وبقي شكر خاص وافر لأساتذتنا ومشايخنا من أهل العلم والدين، أولئك الذين أفردنا لهم قسماً خاصا بالمجلة نستمتع فيه بجهادهم بالقرآن تحت شعار "**وجاهدهم به جهادا كبيرا**"، فهم روح المجلة وريحانها ومستراحها، وفي واحتهم وظل دوحتهم نرى ونسمع من ديننا ما يطمسه علماء السلطة، نخص منهم بالذكر من استمروا معنا طول الوقت: أستاذي الدكتور عطية عدلان المتخصص بفقه السياسة الشرعية وصاحب المؤلفات المشهورة، وهو الرجل الطيب الرقيق الذي لا يجد في دينه ما يتحرج منه (وما أندر هؤلاء في باب السياسة الشرعية)، والشيخ الكريم الدكتور وصفي أبو زيد المتخصص بمقاصد الشريعة وصاحب الجهد المشكور المذكور في بيانها وتلمس تنزيلها على واقع الثورة والمقاومة.

ولقد خصصنا في كل عدد مختصر كتاب مفيد نشرناه على حلقات، فنشرنا أربعة كتب في الأعداد السابقة، ثم خصصنا في باب العلماء مقالاً لعالم أو داعية أو كاتب أسير.. ثم فتح الله علينا أن نجعل مع كل عدد هدية منفصلة: مختصر كتاب مفيد، وافتتحنا هذا الأمر بكتيب للشيخ الأسير البصير، حازم صلاح أبو إسماعيل، زينة مصر ومن مهَّد فيها للمشروع الإسلامي وعظمته تمهيداً عظيماً، اقتبسنا مادته من مقدمة سلسلته الصوتية في السيرة النبوية وجعلنا عنوانه: "ما لا نعرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، عازمين إن شاء الله أن يكون هذا عادة مع كل عدد قادم.



ثم قد بقي الشكر الكبير للقراء الكرام، من لا نستطيع أن نوفيهم شكراً يليق بهم، فإن القارئ نعمة الله على الكاتب، وهو باب دخوله الجنة إن أخلص وقال حقاً، فكيف يستطيع كاتب أن يشكر من كان باباً له إلى الجنة؟! هذا أمر فوق الطاقة ولا تسعه العبارة.. ولقد عوضنا الله من قلة الكُتَّاب كثرة القراء والحمد لله، وبلغت المجلة انتشارا لم نتوقعه كذلك.. وقد وصلتنا الرسائل بأن المجلة التي تصدر إلكترونية تُطبع في عدد من الأنحاء، كما أخبرنا الموقع وصفحة الفيس بوك أن المجلة لها قراء في روسيا وإندونيسيا وكذلك في أمريكا وكندا وما بينهما.. فالحمد لله رب العالمين.

في هذه المجلة عايشتُ حقاً معنى لم أعرفه من قبل، وهو معنى أن يكون العدد الحالي هو العدد الأخير، ولقد وجدتني حين أتخيل انقطاعها راضياً عما قدَّمتْ، إذ لم أدخر جهداً في خروجها على أفضل ما استطعت في ظل الظروف المحيطة، ولقد كنت كثيراً ما أشعر بتوفيق الله يظلل صدورها..

فالحق المحض أنها محض فضل من الله ونعمة، وما كان فيها من توفيق فمن الله وحده: كم ذلل لها سبلاً وفتح لها قلوباً، وما كان فيها من قصور وتقصير فمن أنفسنا ومن الشيطان ولا يزال عمل البشر دليل نقصانهم وقصورهم!



ونسأل الله تعالى أن يشرفنا بخدمته والعمل له، وأن يجعلنا ممن يستعملهم لنصرة دينه، وأن يجعل هذه الأقلام في سبيله، وأن يعصمنا من فتنة الذهب والسيف، فإن أراد بقومنا فتنة قبضنا إليه غير مفتونين.

قالوا عن (مجلة كلمة حق)

د. وصفي عاشور أبو زيد

"مجلة كلمة حق وُلدت كبيرة منذ العدد الأول؛ إذ تلقفها القراء في العالم بنهم وشغف شديدين، وذلك لما تنشره من فكر منير مواكب للمرحلة، وما تتناوله من موضوعات حية تهتم بالقضايا المثارة وتلبي حاجات القراء، ولما فيها من أقلام وكتاب كبار يعرفهم القراء بالشجاعة والتحرر والموضوعية والفكر الراشد".

أ/ كرم الحفيان

"إحياءً لفريضة الاعتبار الغائبة عن كثير من العاملين للإسلام والمتصدرين للعمل الثوري المعاصر، وإيماناً بضرورة الإشارة إلى السلبيات (بجانب ذكر الإيجابيات) التي وقعت، وتحليلها من عدة زوايا فكرية وسلوكية كي تتصحح الوجهة وتستمر مسيرة المقاومة والتغيير بزخم اكبر وبشكل أرشد، انطلقت مجلة كلمة حق بسقف عالٍ غير مسبوق، وبترتيب وتنوع مميز في أقلامها؛ لتخط لوناً وطريقاً جديداً في التفاعل مع قضايا الأمة، والمُسهِمة في معركة تحررها وبناء نهضتها.

م. أحمد مولانا

"في ظل سيطرة الأنظمة الاستبدادية على المجال العام عقب موجات الثورات المضادة، وانتشار دعوات التخذيل والتيئيس والاستسلام واعتزال الصراع، كان لابد من التصدي لذلك بنشر الوعي، وتقديم أفكار تجديدية من خلال منصة إلكترونية دورية راقية، فكانت مجلة كلمة حق، ونسأل الله لها مزيداً من التوفيق خلال الفترة المقبلة".

أ/ محمود جمال

معركتنا معركة وعي، الأمة تتعرض لشكل ممنهج لتزييف وعيها وإشغالها بما لا ينفعها، وأصبح من الضروري وجود منصات تنشر الوعي الصحيح لكي تفيق الأمة من نومها، وتعلم ما ينبغي عليها أن تفعله، وأن ترجع لطريقها ومنهجها الصحيح، ولذلك كانت (كلمة حق)".

أ/ الصغير منير

"أشرقت من تركيا ليسطع نورها على الجزائر و بلاد المغرب العربي.. وتكون منبراً وفضاء عالي السقف.. يُكتب فيها ما لا يسمح غيرها بنشره، وما تخشى جهات من مجرد مناقشته والتفكير فيه..والطريق أمامها مفتوح لتكون لسان حال الجيل الجديد الذي تجاوز الهزائم والنكسات، والفكر الجديد المؤسِّس لمشاريع التحرر والتمكين والنهضة.. وإنه لشرف رفيع وإنها لمهمة نبيلة تستحق ما يبذل فيها من وقت وجهد، وانها لتجربة متميزة تستحق أن تُدعم بكل وسيلة وسبب".

د. عمرو عادل

من المهم في تلك الحالة شديدة التعقيد في منطقتنا، أن يظهر توجه ما يستطيع ان يحدد أفضل المسارات العملية لتحقيق الهدف، ومع تعدد الأفكار والرؤى والاستراتيجيات حول الطريق الأفضل للمستقبل، ومع ندرة المنابر التي تتبنى اتجاها ثورياً حاسماً ظهرت مجلة (كلمة حق)، وأعتقد انها أدركت طريقها وأنها حجر مركزي في بنية الثورة القادمة التي ستحرر أمتنا".

م. محمود فتحي

تشرفت بالاطلاع على أعداد مجلة (كلمة حق) المختلفة منذ إصدارها الأول، والحق أنها مجلة نافعة لا أعرف مجلة تضاهيها في رفع الوعي الفكري والحركي في عصرنا الحالي، وأقول:

١- أول ما طرأ على ذهني مع عنوانها قول النبي صل الله عليه وسلم: "أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ". ومما طرأ على ذهني كذلك كلمة الشيخ عمر عبد الرحمن في مرافعته الشهيرة عند اتهامه بقتل السادات والتي أسماها (كلمة حق)، وقد كانت بحق كلمة حق.

٢- استفدت كثيرا من مقالاتها وكُتابها، وأوصي إخواني أبناء ثورات (الربيع العربي) خاصة بالاستفادة منها، والدعوة إليها والحرص على انتشارها، ولو أن أداة إعلامية وفكرية كهذه كانت متوفرة بين أيدي الثوار مع البدايات لكان للثورة والثوار في بلادنا شأن آخر.

٣- مجلة (كلمة حق) كأداة إعلامية هامة خطوة تأخرت كثيراً، ولعل العذر في تأخرها ضعف الإمكانيات وقلة الداعمين، فلا يبخلن داعم بالفكر أو المال في استمرارها وانتشارها لتظل كلمة حق ومنبر وعي.

٤- أشكر إخواني القائمين عليها وفي مقدمتهم أخي م. محمد إلهامي، صاحب المجهود الوافر والقلم السيال والفكر المتوقد، وأثمن له جهده، وأتوقع له الكثير من التقدم في سماء الفكر الإسلامي والحضاري والثوري، كما لا يفوتني أن أشكر أخي معتز زاهر مدير التحرير والجندي المجهول في العمل الإداري والتنفيذي، وكلاهما كان رفيقنا في ثورة الكرامة في ميدان التحرير والفعاليات بعدها.

٥- أرجو أن يتيسر لي قريباً أن أتشرف بأن أكون بين هذه الكوكبة من الكُتاب والمفكرين، لولا الانشغال بالبناء الحركي والتنظيمي وإجهاد فكري وميداني؛ فالله أسأل أن أكون بينهم قريباً في سلسلة أرجو أن تكون نافعة .

والله المستعان وعليه التكلان هو نعم المولى ونعم النصير.

لماذا يجِبٍ أن تُطلِق مُدوَّنَةً خاصة؟

عبد الغني مزوز

في ٢٠١٨/٤/٢٨ توقف فجأة تطبيق تيليجرام عن العمل لعدة ساعات، وقد تزامن التوقف الذي أربك ملايين المستخدمين حول العالم مع حديث متصاعد عن ضغوط شديدة تتعرض لها الشركة من أجل تمكين المؤسسات الاستخباراتية الدولية من مفاتيح التشفير التي تعتمدها، والكف أيضا عن جعل التطبيق ملاذا مريحا للأفكار المتطرفة. في غضون عدة ساعات عاد التطبيق إلى العمل مجددا، لكن بعد أسابيع من هذه الحادثة شرعت الشركة في حذف عدد كبير من القنوات والحسابات من على منصتها، وكان لحسابات الناشطين والثوار في سوريَة وغيرها نصيبُ الأسد من هذه الحملة، حيث حذفت الشركة عشرات القنوات الرسمية وغير الرسمية مبددة بذلك أرشيفا ثوريا لا يُعوَّض.

قد لا تكون السياسة الجديدة لشركة تيليجرام مثيرة للقلق بالنسبة لأولئك الذين يملكون حسابات بديلة على مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، ويجعلون من نشاطهم على التيليجرام ترفا إلكترونيا فرضته الموضة الرقمية المتجددة، لكن بالنسبة لمن انحاز إلى جبهة التيليجرام بعدما أنهكته حملات الحذف والتوقيف على جبهات تويتر وفيسبوك فالمسالة عنده تبدو في منتهى الجدية، إنه يواجه خطر الحرمان من الوجود على شبكة الإنترنت إضافة إلى مأساة فقدان أرشيفه الذي ظل يتعهَّده لمدة طويلة، وفقدان الأرشيف التوثيقي في هذه الحقبة الحساسة من تاريخ الأمة يعني أن خصومها عندهم امتياز إضافي لكتابة التاريخ كما يحلو لهم.



بعد حملات الحذف المذكورة عاد قسم من الناشطين إلى تويتر وفيسبوك مجددا لعل هذه المواقع العملاقة تنسى الثارات السابقة أو تنشغل عنهم بما حل بساحتها من أزمات كثيرة على خلفية رعايتها للأخبار الزائفة ومساهمتها الفعالة في تضليل الرأي العام في بلاد العم سام. ولم يكد أولئك الناشطون يكتبون أُولى كلماتهم حتى وجدوا أنفسهم مجددا في مرمى الحذف والحظر والتوقيف. يا لتهافت هذه الحضارة المدججة بملايين المؤسسات الدعائية العملاقة وهي تخشى من حساب على تويتر كتب صاحبه أولى كلماته عليه " بسم الله نبدأ".

كتبنا سابقا عن ضرورة العودة إلى التدوين، ولفتنا القراء إلى ظاهرة خطيرة وهي اختفاء أرشيف الثورة من شبكة الإنترنت، وقلنا أن البحث مثلا في غوغل عن تفاصيل لمعركة أطلقها الثوار وبالاسم الذي اختاروه لها يُظهِر المواقع الإيرانية والأسدية في صدارة نتائج البحث في حين ستعاني وأنت تبحث عن مادة كتبها الثوار أو الناشطين الذين عايشوا الحدث ودوَّنوا تفاصيل بشأنه. وانتقال كُتَّاب الثورة وناشطيها إلى تطبيق تيليجرام أزاد المشكلة لكون ما يُنشر على التطبيق لا يخضع للأرشفة ولا يمكن العثور عليه بواسطة محركات البحث، وقابل للحذف من طرف الشركة لسبب أو لآخر وبالتالي فكل ما يُنشر على التطبيق لن يعمر طويلا وسيختفي فجأة كفقاعة صابون.





بشكل عام وفي ظل سيطرة الشركات التكنولوجية النافذة على حركة تدفق المعلومات في الفضاء المعلوماتي سيكون من الصعب حجز مكان آمن ومستقر في ذلك الفضاء. لكنْ ثمة دائما حلولٌ وبدائلُ مبتكرةٌ نرجو أن تُبدع العقول المتمردة والحرة في خلقها وإيجادها، تماما كما كافح المجرمون ورجال المافيا والقتلة المأجورون وتجار الدعارة حتى أمنّوا لأنفسهم مكانا على الشبكة فأصبحت بضاعتهم رائجة في ما يسمى بالإنترنت العميق أو المظلم، إذ ستجد هناك قاتلا مأجورا يعرض خدماته ونماذج من أعماله السابقة، بإمكانك حجزه في أي وقت، وتاجرا يوصل لك مع البريد جرعاتك المطلوبة من الكوكايين إلى باب منزلك، وتُحَفا فنية مسروقة وأسلحة متنوعة، ووثائق رسمية مزورة، وبإمكانك أن تدفع بإحدى العُمْلات الرقمية المشفرة حيث يتعذر معرفة من باع ومن اشترى.



تطبيق تيليجرام ومواقع التواصل الاجتماعي هي فيأحسن أحوالها أدوات للتواصل، ولهذه الغاية أُنشئت، وليست مكانا يمكن الاعتماد عليه في أرشفة أحداثالثورة وتوثيق أيامها. لا بد من ثورة تدوين جديدة، لقد أحدثت مواقع التواصل الاجتماعي تغييرا سلبيا في طريقة تعاطينا مع المعلومات والأفكار واستهلاكنا لها أيضا. لقد أحسن المدون الإيراني المعارض حسين درخشان في تحليل هذه التغييرات في مقال جميل وعميق تحت عنوان "موت الإنترنت: عن الشبكة التي يجب علينا إنقاذها" وفطن المدون لهذه التغييرات لأنه سُجن عام ٢٠٠٨ الزمن الذهبي للمدونات وأُطلق سراحه بعد ست سنوات ليجد التيليجرام وقد هوت إليه أفئدة المُبْحرين من الناس[١] .

(١) موت الإنترنت: عن الشبكة التي يجب علينا إنقاذها ، حسين ديراخشان، ٢٠١٥/١٠/٨

في هذا المقال أريد أن أبين أن إنشاء مدونة إلكترونية سيكون أفضلَ حلٍّ ممكن لحملات الحذف والتوقيف التي تتعرض لها حسابات الناشطين وكُتّاب الثورة. ووسيلة سهلة لحفظ أرشيف الثورة المكتوب، وطريقة لتوثيق أيام الثورة وجعلها في متناول الباحثين والمهتمين والأجيال القادمة أيضا. يمكن للكاتب أو الناشط أن يمتلك مدونة إلكترونية أنيقة والبقاء في الوقت نفسه محتفظا بحساباته على مواقع التواصل الاجتماعي بل وعلى وتيرة نشاطه عليها كذلك.

من منطلق تجربة في التدوين امتدت لأكثر من عشر سنوات فإن أفضل موقع لإنشاء مدونة إلكترونية مجانية خالية من الإعلانات وسهلة الإدارة هو موقع blogger التابع لغوغل. الأمر لا يتطلب سوى بريد إلكتروني وعشر دقائق لإطلاق مدونة إلكترونية وإذا أنفقتَ بعضَ الساعات الأخرى عليها فستتحول إلى موقع إلكتروني احترافي [٢]. أن تمتلك مدونة إلكترونية يعني أن بإمكان قُرَّائك أن يظلوا على اطلاععلى آرائك وأفكارك ومواقفك حتى وإن تعرَّضتْ حساباتُك على مواقع التواصل الاجتماعي للحذف، فشركة غوغل لا تحذف المدونات الإلكترونية خصوصا إن كان ما ينشر عليها مادةً مكتوبة وصورًا أو مقاطعَ فيديو لا تحتوي مشاهدَ عنف وقتل. كما أن تنزيل المواد المنشورة على المدونات سهل ويسير جدا وبعدة صيغ. وعندما يتَّبع المدون بعض الإجراءات السهلة وهو بصدد نشر تدوينته فهناك إمكانية كبيرة لجعل موادها تتصدر نتائج محركات البحث، وهي الإجراءات والتقنيات المعروفة في عالم التدوين ب seo [٣].

(٢) شرح إنشاء مدونة بلوجر من الصفر، https://www.youtube.com/watch?v=bKCehL7sRoc

(٣) كيف تكتب تدوينات تحترم فيها شروط seo ، https://www.youtube.com/watch?v=jnz5nEa6iTg

توجد عشرات الآلاف من القوالب الجاهزة التي تجمع بين الأناقة والسهولة والاحترافية[٤]، وهي عبارة عن "إستايلات" مجانية يستغرق تركيبها بضع ثوان لتظهر المدونة في شكل مناسب بحسَب ذوق المدون واختياره[٥]. وهناك أيضا عشراتُ الإضافات الأخرى التي يمكن إلحاقها بالمدونة "كالسلايدر شو" الذي يتيح عرض المواضيع المهمة على شكل صور بارزة ومتحركة في واجهة المدونة. أو شريط إخباري متحرك بآخر الأخبار، والقائمة البريدية التي تُوصل المواضيع الجديدة للمتابعين على بريدهم الإلكتروني فور نشرها على المدونة...



قامت blogger بإطلاق تطبيق خاص بمدوناتها يتوافق مع أنظمة الهواتف الذكية، وهو تطبيق بواجهة سهلة خالية من التعقيد، يمكن التعامل معه بالمرونة ذاتها التي يُتعامل بها مع منصات التواصل الاجتماعي، حيث يمكن نشر المواد بواسطته وتحرير المواضيع والتعديل عليها وإضافة الصور والروابط إليها[٦]. وعندما يكون التطبيق موجودا في هاتفك فكل ما عليك فعله عند نشر موضوع ما على قناتك في التيليجرام أو حسابك على الفيسبوك أو موقع justpaste هو القيام بنسخ الموضوع ولصقه في تطبيق المدونة في عملية قد لا تستغرق أكثر من دقيقة. وسيكون الكاتب بذلك قد احتفظ بنسخة من مجهوده قابلة للأرشفة والتنزيل ويمكن أن تكون في يوم من الأيام مرجعا للمهتمين والأجيال القادمة والباحثين عن الحقيقة في هذه العالم الذي أرخى عليه ليلُ التضليل سُدُولَه.

(٤) يمكن تحميل الكثير من القوالب المجانية الأجنبية والمعربة من مئات المواقع الموجودة على الشبكة.

(٥) تركيب قالب بلوغر متوافق مع جميع المتصفحات والأجهزة. https://www.youtube.com/watch?v=H6rWNz2bM4I

(٦) كيفيةالتحكموإدارةحميعمدوناتالبلوجرمنخلالهاتفالأندرويد. https://www.youtube.com/watch?v=iBrx0_SpEIU



وقفة للمراجعة

م. أحمد مـولانـا

تركت الأحـداث منذ انـدلاع ثـورات الربيع العربي حتى اليوم بصمتها على واقع الحركات الإسلامية بمختلف تياراتها، ورغم حجم الآلام وشدة المعاناة، إلا أن مساحة الوعي لدى مختلف أجيال الإسلاميين اتسعت وزادت، بما في ذلك الوعي بطبيعة مكونات الصف الإسلامي نفسه، إذ انكشف كثير من أدعياء السلفية بانحيازهم إلى صف الطغاة. كما برز صف الغلاة وانفصل عن بقية مكونات التيار الإسلامي وعاداهم. أما القيادات المتكلسة التي تعاني من: غياب الرؤية، وهلامية المنهج، والاستبداد بالمناصب التنظيمية رغم فشلهم المدقع، فقد صاروا محل تندر القريب منهم قبل البعيد.

ورغم تلك المكتسبات، فهناك عدد من التحديات الجوهرية التي تفرض نفسها على المشهد، مثل وجود حالة من الحيرة والتيه على المستوى الفكري والسياسي، في ظل غياب إدارة مركزية تقدم رؤية وتصيغ حلولا للأزمات.

> وقبل مناقشة كيفية التعامل مع تلك التحديات لابد من التشديد على أن الوضع السياسي الحالي في المنطقة يصعب أن يستمر لمدة طويلة، لأنه لا يمكن إفناء كتلة بشرية هائلة ذات امتداد فكري واسع وعميق كالحركة الإسلامية. وهو ما ينبغي أن يستنفر العقول لصياغة تصورات لكيفية التعامل مع هذه المرحلة الآنية وما يتلوها لاحقا.

ضرورة تنسيق الجهود

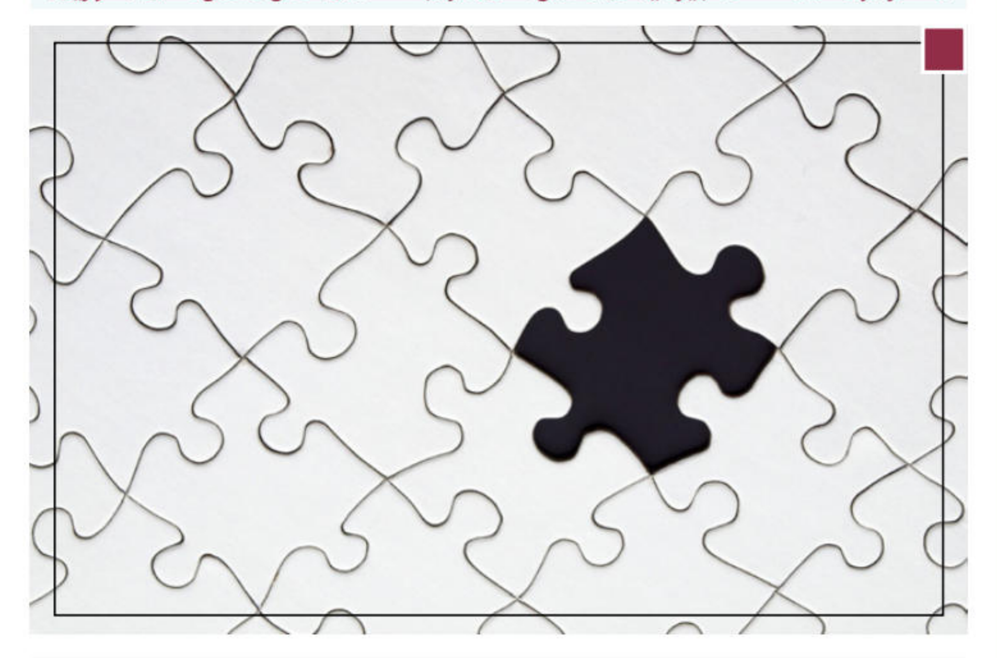


إن الخصوم ينسقون فيما بينهم على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية ضمن غرف عمليات مشتركة، بينما الحركات الإسلامية تتعامل بشكل عشوائي ومجزأ، حتى وصل الحال إلى أن نشاهد في ليبيا تحالفا بين حفتر والتيار المدخلي يحظى بدعم مصري إماراتي سعودي فرنسي، بينما الطرف المقابل يتحرك بشكل جهوي دون استراتيجية متكاملة، فحفتر خاض معركة بنغازي لفترة طويلة وتكبد فيها خسائر جسيمة، بينما ظل الثوار في بقية المدن يتابعون معركة بنغازي عن بعد، ثم عقب أن استعاد حفتر عافيته، انطلق بعد ذلك ليهاجم درنة ويستفرد بها، وبالتالي فإن النتيجة الطبيعية أن ينتصر الطرف الذي يتحرك وفق استراتيجية متكاملة، ويحظى بدعم متنوع.

وهذا السيناريو تقريبا تكرر على الجبهات المختلفة بالشام أيضا، فالنظام وداعموه هاجموا حلب واستولوا عليها بينما كانت معظم الجبهات خاملة، تشاهد ما يحدث كأنه يجري بعيدا عنهم، ثم بعد ذلك سيطر النظام على الغوطة الشرقية وغيرها.

وكذلك على المستوى الإقليمي، تصاعدت الهجمة المضادة للثورات عقب الانقلاب في مصر، فتم تشديد الحصار على غزة، وبزغ نجم حفتر بليبيا، وتدهور الوضع بالشام مع غياب روافد سنية تدعم الثورة السورية في مواجهة التمدد الشيعي والتدخل الروسي والغربي. وتعرضت الأنظمة المحسوبة على محور دعم الثورات ولو بنسب مختلفة، لتحديات وجودية، مثلما حدث في محاولة الانقلاب بتركيا، وحصار قطر، مما أجبر البلدين على تغيير حساباتهما.

إن مشكلة غياب أو ضعف التكامل بين الإسلاميين في البلاد المختلفة فضلا عن القطر الواحد، مشكلة كبيرة يمكن العمل على مواجهتها من خلال العمل على محورين:



الأول : محور رأسي متعلق بالقيادات الإسلامية ذات الخط التغييري على الجملة، فلابد أن ينسقوا تحركاتهم، ويكمل بعضهم بعضا، فهناك فئات وشخصيات نخبوية لديها رؤى وأفكار وتصورات متماسكة وجيدة، وهناك فئات أخرى لديها امتدادات مجتمعية وشعبية، وفئات ثالثة لديها إمكانات مالية جيدة، وفئات رابعة لديها خبرات تقنية وعسكرية ..إلخ. وهذه الفئات تحتاج للتنسيق والتكامل، بدلا من أن نجد:

- كوادر عسكرية متميزة تخوض صراعات مهلكة لن تغير كثيرا من معادلات الواقع، بينما يمكنهم عبر التحرك في إطار استراتيجي مدروس تحقيق نتائج كبيرة بثمن أقل.
- فئات لديها إمكانات مالية جيدة، تنفقها على عقد مؤتمرات وندوات لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تتحرك وفق أي رؤية استراتيجية جدية لتظل تراوح مكانها منذ عقود.
- شخصيــات تملك رؤيــة استراتيجيــة، ولكنها لا تملك مقومات ميدانية تمكنها من تحويل رؤيتها إلى واقع.

ومن ثم فإن التنسيق والابتعاد عن العمل في جزر منعزلة، هو واجب المرحلة بدلا من هذه الفسيفساء التي نتحرك عبرها، وأؤكد أني لا أقصد بذلك كافة المحسوبين على الإسلاميين، فهذه قد تكون أمنية غير واقعية، إنما أقصد الإسلاميين من أصحاب الخط التغييري وممن تحركهم أرضية مشتركة.

فمثلا المشاكل في غزة وليبيا لن تحل غالبا سوى بإحداث تغيير جوهري في مصر، بينما معظم القطاعات المصرية التي تحركت ضد الانقلاب تحركت دون رؤية استراتيجية، فأثخنتها الجراح، واستتب الأمر للنظام، مما انعكس على المحيط الإقليمي بالسلب. وحاليا فإن تغيير الأوضاع بمصر يحتاج لرؤية استراتيجية حقيقية يشارك في صياغتها وتنفيذها أصحاب العقول والكفاءات والمهارات المتنوعة من المصريين وغير المصريين .

الثاني: محور أفقي متعلق بعموم الأفراد: أحسب أن الوضع الحالي الذي يتسم بالانكسار والتراجع، كسر الطموحات الزائفة للكثيرين، وأضعف حزازيات الماضي، وحجم من المعارك الوهمية. ومن ثم توجد حاليا أرضية مشتركة بين الأجيال الأصغر سنا (جيل الثلاثينات وما دونه) تسمح بتأسيس أعمال مشتركة لمواجهة الهجمة الشرسة من الخصوم. وفي هذه المرحلة من المهم :

تحفيز الأدوار الفردية والجماعية الصغيرة لمواجهة غياب أو بمعنى أدق ضعف المركزية.

العمل على بناء مركزيات داعمة، وتصدير رموز في مناطق الشتات المختلفة لمواجهة حملات الاستئصال وتجفيف المنابع البشرية وتصفية الرموز التي نتعرض لها بعنف منذ بدء موجة الثورات المضادة.

وفي الختام إن هذا المقال إنما يمثل رؤوس عناوين لما أحسب أنه سيفيد في دفع المسيرة للأمام، ولكنه يحتاج كي يؤتي أكله لنقاش جماعي لإثرائه وتحويله إلى مشروع يمكن تبنيه واقعيا.

كنتُ معهم (٤)

شاهد على اعتقالات الإسلاميّين بالجزائر

الصغير منير



كان تاريخ السجون عبر كل الأزمنة وفي جميع الدول مرتبطا بمحاولات الفرار التي لا يملّ منها المساجين، والتي كانت تنجح مرة وتفشل مرّات، وقد أنتجت السينما الغربية عشرات الأفلام عن قصص فرار جماعيّة وفردية من السجون، نفّذها سياسيون وعسكريون ومجرمون.

ولم تكن السجون الجزائريّة فترة التسعينيات بعيدة عن محاولات المساجين السياسيين المتكررة للفرار؛ نجح القليل منها وباء أكثرها بالفشل.

كان طبيعيا جدّا أن يسعى المساجين للفرار، فذاك ردّ فعل طبيعيّ من رجال سُلبت حرّيتهم. ولم تكن الظروف القاسية وحدها سببا في محاولات الفرار، فقد حدث بعضها في سجون كانت هادئة إلى حدّ كبير، وكانت حال المساجين فيها غير سيّئة. ولعلّ من أكبر أسباب محاولات الفرار هو سخونة الوضع العسكري في الجبال وكثافة العمليات العسكريّة في المدن والأرياف والرغبة الجامحة للشباب في الالتحاق بالجماعات الجهادية للمشاركة في (الجهاد).

ولم تكن هذه الظاهرة غريبة على الجزائريين، فقد شهد تاريخ الحركة الوطنية والمنظمة الخاصة (OS) قبل ثورة التحرير الجزائريّة، كما شهدت فترة الثورة نفسها، عشرات المحاولات الناجحة للفرار فرادى وجماعات لمجاهدين وسياسيين، كانت مدوّنة وموثّقة ويعرضها التلفزيون الجزائري في كل مناسبة وطنية، وليس مستبعدا أبدا أن مخيّلة كثير جدّا من الشباب كانت تستحضر تلك القصص والمحاولات وتستلهمها، وتعتبرها نموذجا يمكن أن يتكرّر.

ولأنّ من يفكّر بالفرار من السجن لا يطمع البتّة أن يعيش حياة طبيعية في حال فراره، وإمكانيّة هجرته خارج الجزائر صعبة جدّا وقد توقعه في يد أجهزة الأمن مرّة أخرى، فقد كان الملاذ الوحيد لكلّ من يفرّ هو التحاقه بالجمات الجهاديّة في الجبال والمدن. ومن أجل ذلك كان واضحا ومفهوما أن كلّ المشاركين في هذه العمليات هم من الشباب أو الكهول دون الخمسين، على قلّتهم بين المحاولين.

وقد كانت أكثر تلك الجماعات استقطابا للشباب الفارّين هي (الجماعة الإسلامية المسلحة (GIA)، فقد كانت أكثر انتشارا وأكبر قوة وتسليحا، وأحكم تنظيما وأكثر فعالية وعمليات في الميدان، وأنجح في الدعاية لنفسها والترويج لعملياتها.

ولم يكن الفرار من السجون الجزائرية سهلا على الإطلاق، فقد كانت كلها تقريبا سجونا بناها الاحتلال الفرنسي، وتقع داخل المدن أو قريبا منها جدّا، ومحصّنة بإحكام، وقريبة من الثكنات العسكريّة، أو انتُدبت فرق حراسة من الجيش أو الدرك أو الشرطة لترابط قريبا منها.

كان بعض هذه العمليات يتمّ بالتنسيق بين المساجين وقيادات محلّية للجماعات المسلّحة في الولاية التي يقع فيها السجن، وبعضها كان المساجين يتحملون فيه مخاطرة الفرار ثمّ التفكير لاحقا في التواصل مع الجماعات المسلّحة بعد النجاح في الفرار والأمن على الأنفس.

ولعلّي لو أحصيت المحاولات الناجحة لكانت أربعاً:

١ الفرار من سجن المرسى الكبير العسكري بولاية وهران: حدث في صيف ٩٣، ونجح في الفرار منه ٤٢ سجينا، أكثر من ثلثيهم عسكريّون كان يقودهم الملازم عبد الحقّ المستاري رحمه الله، وكان العسكريون هم الذين خططوا للعملية ونفّذوها وفتحوا أبواب الزنزانات أو بعضها للمدنيين، ففرّ من فرّ، وبقي وأحجم الآخرون. وقد قُتل أكثر السجناء المدنيين غير بعيد عن وهران في اليوم نفسه أو بعده بقليل، فلم يكن لديهم خطّة ولا تنسيق مسبق ولا قدرة على تدبير أمورهم بطريقة تمكّنهم من بلوغ مأمنهم، وكان على رأس هؤلاء ممّن أذكرهم لأنني أمضيت معهم بضعة أشهر: الأستاذ الفاضل عبد المجيد من تلمسان، والشيخ الإمام الفاضل عبد الحميد من سعيدة. بينما نجح العسكريّون في الوصول إلى المناطق الآمنة في الجبال بمنطقة سيدي بلعباس وسعيدة وما جاورها؛ ليكون لهم مسار آخر في العمل المسلّح.

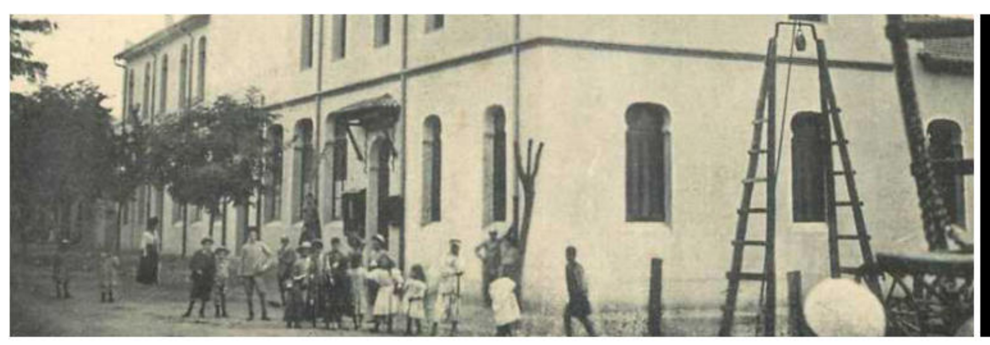
٢ الفرار من سجن تيارت: حدث في شهر سبتمبر من عام ١٩٩٣ ، وكان عدد الفارّين منه خمسة أشخاص، وهو عدد قليل لأن سجن تيارت نفسه كان سجنا صغيرا لا مركزيا. وكان الفارّون كلّهم من الشباب الذين لم تتجاوز أعمارهم ٢٢ سنة، ولفرارهم قصّة تستحقّ أن تُكتب عنها رواية أو يُخرج عنها فيلم توثيقي مثلها مثل قصص الفرار الأخرى بصرف النظر عن دوافعها ومآلاتها وخلفياتها. ولقد قُتل هؤلاء الشباب لاحقا بعد التحاقهم بالجماعات المسلّحة.

٣ الفرار الكبير من سجن تازولت (لامبيز) الشهير بولاية باتنة: حدث يوم ٢٩ رمضان ١٩٩٤ الموافق ١٠ مارس، وكانت نتيجته فرار ١٣٠٠ سجين والاستيلاء على أسلحة خفيفة ومتوسطة ليست بالقليلة، وقد تمّت العمليّة بمساعدة اثنين من حرّاس السجن وبتنسيق مع نبيل صحراوي قائد المنطقة المعروف بعبد الرزّاق البارا. حدث اقتحام السجن واقتلاع أبوابه وقت الإفطار تماما، بعد أن حفر خنادق حول السجن وفي الطرقات المؤدية إليه، وقد كان أحد المنسّقين مع الجماعة التي يقودها نبيل صحراوي، الشيخ سعيد قاري، أحد مؤسسي (الجيا) وقدماء الأفغان الجزائريين.



ولعلّ هذه العمليّة هي الأكثر غموضا واشتباها ويصنّفها كثير من المتابعين للأحداث يومها والمعايشين لها عن قرب أنّها كانت عمليّة مدبّرة من أولها لآخرها، من أجل ضخّ أكبر عدد من العملاء في صفوف الجماعات المسلّحة لاختراقها والتحكّم فيها لاحقا، بعد أن استقدم هؤلاء السجناء المشبوهون قبل الفرار بفترة قصيرة، وإن كان هذا لا يعني أن كلّ من فرّ عميل ولا كلّ من نسّق أو شارك في العملية، ولكن هؤلاء جميعا كانت الخطّة أكبر منهم وتتجاوز مداركهم ومواردهم، وهو احتمال و شكّ يمكن الاستدلال عليه بكثير من المعطيات والتفاصيل، ومع ذلك يبقى الغموض سيّد الموقف كما يقال، إلى أن يكشف التاريخ والوثائق والشهادات والأرشيف عن أسرار هذه العملية التي تعدّ من أكبر عمليات الفرار في تاريخ السجون في العالم كلّه.

٤ محاولة الفرار من سجن البرواقية بولاية المديّة: حدثت في شهر نوفمبر من عام ١٩٩٤ ، وقد كانت محاولة فرار ساذجة لم يخطّط لها بإحكام؛ بل أن كثيرا ممّن عايشها يراها محاولة مخترقة أو موجّهة لتبرير ما حدث بعدها من القتل، بصرف النظر عن فضل ودين وصدق من قُتل فيها. وهي محاولة لم ينجح أيّ سجين في الفرار أثناءها، وكانت نتيجتها اقتحام قوات الدرك والأمن للسجن وقاعاته وزنزاناته وقتل ما يقارب ٦٠ شخصا بطريقة بشعة قاسية، بلغت أن أُحرِق فيها عدد من السجناء أحياء في زنزاناتهم. وقد كتب حولها النقيب أحمد شوشان في مذكّراته بشيء من التفصيل يجلّي غوامضها وملابساتها بحكم معايشته لها، لأنه كان موجودا في سجن البرواقية يومئذ، ولا أعلم أحدا من السجناء الأحياء وهم كثير، أعرف شخصيا العشرات، منهم من كتب أو دوّن مشاهداته حول ما حدث أو نشرها، وهذا أمر سأتحدّث عنه لاحقا.



٥ محاولة الفرار من سجن سركاجي: حدث في شهر فيفري عام ١٩٩٥ ، وقُتل فيها ما يقارب أو يفوق ١٠٠ سجين، وقد كان السجن لا يبعد أكثر من ٢٠٠ متر عن وزارة الدفاع ومثلها عن قيادة أركان الدرك الوطني، ممّا يجعل التفكير في الفرار محاولة للانتحار ويصعب جدّا تصديق أنّها كانت كذلك فعلا، فقد كانت حدثا أقرب إلى المكيدة و اللعبة القذرة، بعد سُرّب السلاح إلى عدد من السجناء وأُوهموا بإمكانية الفرار؛ ليجدوا أنفسهم محاصرين بعد قتل أربعة من السجناء، ثمّ قامت أجهزة الأمن باستغلال الحدث لتصفية عدد كبير من الرموز والقيادات في الجبهة الإسلامية للإنقاذ والجماعات المسلّحة، من أبرزها الشيخ يخلف شرّاطي عضو المكتب الوطني ومسؤول الدعوة والإرشاد في الجبهة، وأحمد الودّ، وقاسم تاجوري، وغيرهم كثير. وكان في السجن يومها الشيخ عبد القادر حشاني رحمه الله، وقام بدور الوسيط في التفاوض أو الحوار بين أجهزة الدرك والجيش والمخابرات وبين المساجين، وقد كان من المشاركين في المفاوضات عباس غزيّل قائد الدرك، والجنرال الشريف فضيل، والجنرال خالد نزّار وزير الدفاع السابق، رغم انّه كان متقاعدا، وبرغم ذلك انتهى الأمر بمجزرة مروّعة.

وما زلتُ أذكر للتاريخ أني زرت الشيخ حشاني في بيته عام ١٩٩٩ رفقة الأخ الطبيب حسين قريني، وبتنا عنده، وحدثنا يومها أنّه كتب كتابا ضمّنه تفاصيل ما حدث في سركاجي، وأنّه أمّن الكتاب في أكثر من نسخة، وحدث أن اغتيل الشيخ حشّاني بعد زياتنا له بأقلّ من أسبوعين، ومن يومها وأنا أسأل كلّ من عرفه عن هذا الكتاب دون أن أعثر له على أثر.



إن هذ العرض المـخـتـصـر جـدّا لبعض ما حـدث في المحاولات الخمس ليس تأريخا لها ولا توثيقا لتفاصيل أحداثها، وإنما إشارة لظاهرة محاولات الفرار المتكرّرة في السجون الجزائرية خلال فترة التسعينيات والتي لم تكن وحدها، بل كانت هناك عشرات المحاولات في كلّ السجون تقريبا، بعضها توقّف قبل أن يبدأ، وبعضها كُشف وعوقب المشاركون فيه، وبعضها توقّف بعد أن تقدّم المشاركون فيه خطوات لأسباب كثيرة يطول شرحها وذكر تفاصيلها.

ومثل كلّ أحداث التسعينيات في الجزائر وبرغم خطورة ما حدث وما ترتّب على المحاولات الخمس الكبرى للفرار الآنف ذكرها وبرغم مئات القتلى والجرحى والفارّين، فإن الشهادات والتحقيقات والتغطيات الصحفيّة والمذكّرات والأرشيف المتعلّق بها يكاد يكون منعدما، وسوف تُطوى هذه الأحداث ويلفّها النسيان وينجو المجرمون الذين شاركوا فيها إذا استمرّ هذا الصمت والخوف من الحديث والشهادة على الأحداث؛ بل إن المتورّطين وحلفاءهم من الصحفيين والمؤرّخين والكتاب من التيّار اللائكي (العلماني) خاصّة ومن بعض النفعيين المتملّقين لن يتورّعوا أن يزيفوا الوقائع ويزوّروا الأحداث ويتّهموا البريء ويبرئوا المجرم، ومن تتبّع الصحافة اللائكية والاستئصاليّة سيجد بوادر ذلك واضحة جليّة.

وإنّني لأستغرب هذا العزوف الشديد ممّن عايشوا الأحداث أو شاركوا فيها عن الشهادة والتوثيق والكتابة، إذ أصبحت الكتابة حول هذه الأحداث الكبرى مغامرة أو محاولة لن يجد من يقتحمها إلا نتفا هنا وهناك، لا تسمح حتى برسم كرونولجيا الأحداث، فضلا عن تتبّع خلفياتها ودوافعها وتعقيداتها والمشاركين فيها وآثارها ونتائجها والمستفيدين منها.

وقد كانت الإضرابات والاحتجاجات لا تتوقّف في السجون ولأسباب كثيرة، وترتّب على كثير منها قمع رهيب وعقوبات قاسية تعرّض لها السجناء ونتائج سياسية وحقوقية، ومع ذلك لم يوثّقها أحد بكتابة ولا صوت ولا صورة.

لقد كان غياب التوثيق والشهادات والأرشفة والكتابة عن هذه الأحداث في السجون وخارجها سواء في العمل السياسيّ أو المسلّح داخل الجزائر وخارجها، فرصة ذهبيّة استغلّها النظام الانقلابي وورثته إلى اليوم في تلميع صورته وتصوير خصومه وأعدائه مجرمين قتلة قادمين من ظلمات التاريخ القديم، لا هدف لهم ولا غاية ولا رؤية، سوى القتل والدمار والإجرام، وغابت كلّ آثار الانقلابيين في الأحداث واختراق العمل السياسيّ والمسلّح وتعفين الأوضاع والتأسيس لمحرقة ثانية بعد محرقة الاستعمار، وإعادة هندسة الشعب الجزائريّ وتغيير جيناته الاجتماعية وإخضاعه لأبشع أنواع الصدمات النفسية والفكرية والثقافية والاجتماعية، من أجل التحكّم فيه وكسر تمرّده وإذلاله وضمان رضوخه وعدم ثورته مرّة أخرى.

إنّني أدعو في ختام هذه السلسلة كما دعوت في مقالات سابقة إلى ضرورة المسارعة في توثيق الأحداث والشهادات والأرشفة العلمية لكل ما نُشر وقيل حولها؛ لتكون أجيال الشباب الجديدة على بيّنة من أمرها ولا تقع في الأخطاء نفسها وتكررّها بغباء أو سذاجة، ولتكون التجارب معروضة أمام الشباب حتى لا تتلاعب بها أجهزة الأمن والاستخبارات وتوظّفه بنذالة وقذارة هي من صميم دورها، أو على الأقلّ حتى لا يصيب هذا التوظيف والاختراق أيّ حراك جديد واعد في مقتل، يكرّس اليأس ويعمّق الانتكاسة ويطيل عمر الهزيمة.

ليس ما كتبتُه تأريخا، بل رصدا لملامحَ وخطوطٍ كبرى عاشها عشرات الآلاف من المساجين والمعتقلين في فترة من أعنف وأقسى ما عاشه الشعب الجزائريّ منذ الاستقلال المزعوم والمصادَر؛ لعلّ ذلك يفتح شهيّة الكتابة ممّن كانوا أقرب للحدث منّي وأدرى بتفاصيله .

الأنفاق السورية المفخخة:
أحدث صيحات المقاومة

(كرم الحفيان)



مقدمة

مع الفجوة الحضارية الكبيرة بين الأمة الإسلامية وأعدائها الدوليين، ومع الحظر المفروض على شعوب الأمة في مجال التطور العلمي والتكنولوجي وانعكاساته على مسار الصراعات العسكرية مع قوات الاحتلال الخارجي، وأدواته من الأنظمة المحلية الموالية له والمخولة بقمع أي ثورة أو حركة تغيير، برزت إشكالية كبيرة في ميادين الجهاد والثورة تتمثل في كيفية إبداع وابتكارأسلحة نوعية وتكتيكات قتالية تحقق شيئاً من التوازن في الرعب وتحاكي القوة التدميرية الهائلة المستخدمة من العدو (خاصة الطيران) لتسهم في معركة التحرير.

كانت البداية الحقيقية من فلسطين في تسعينيات القرن الماضي عبر حركتي حماس والجهاد الإسلامي، عن طريق استخدام الأحزمة الناسفة والعربات المفخخة في العمق الإسرائيلي، أو ما عُرف لاحقاً "بالعمليات الاستشهادية"، ثم تبعتها التنظيمات الجهادية وطورت هذه الآلية واستخدمتها بكثرة خاصة في العراق، وفيما بعد ونتيجة لتراكم الخبرات لمعت حماس في الكر والفر والمراوغة وتحييد سلاح الجو في المعارك، عبر إدارة "حرب الأنفاق" بطريقة مذهلة في ثلاثة حروب متتالية مع إسرائيل، من ٢٠٠٣ م إلى ٢٠١٤ م، مجهضةً كل محاولات اقتحام غزة واحتلالها.

أما الجديد الذي قدمته الثورة السورية في هذا المجال وبشكل غير مسبوق كماً وكيفاً: تحويل ما تحفره من أنفاق ضخمة إلى زلازل وبراكين متفجرة مقتلعةً معسكرات كاملة لجيش النظام وحلفائه، ومسهمةً في حسم معارك هامة ومحررةً بمجرد التلويح بهذا السلاح (أحياناً)، مـا استعصى حـتـى على أثقل الأسلحة وأجرأ العمليات الاستشهادية!

في خضم الانتصارات الكبيرة للثورة في الشمال السوري عام ٢٠١٥ م، وبعد تحرير أغلب مدينة جسر الشغور بمحافظة إدلب في أبريل بأقل من ٧٢ ساعة، انحاز ٣٠٠ من كبار ضباط وعساكر النظام إلى المشفى الوطني في المدينة وتحصنوا به بشكل جيد، ولم تفلح جميع محاولات الاقتحام المتكررة خـلال ٢٥ يوماً رغـم الاستعـانة بالسـلاح الثقيـل والاستشهـاديين.

وواكبت التطورات الأخيرة حملة إعلامية ضخمة من قبل النظام وصلت لحد تعهد بشار الأسد بفك حصارجنوده [١] ، إلا أن أبو عيسى الشيخ (أحد أهم قادة الثورة) كان له رأي آخر صاغه في تغريدة على حسابه التويتري مبشراً الثوار بزيارة أبي مصعب شنان "وزيرالأنفاق" لتفقد المنطقة والإشراف على حفر نفق وتفجيره في الضباط والجنود المحاصرين [٢] ، الأمر الـذي أثار رعـب عساكـر النظام ودفعهـم للفـرار فـي عـدة اتجاهـات ليُصاد أكثرهـم مـن (وُثقّوا بالاسم ٢٠٨) في كمائن أعدها المجاهدون سلفاً، منهم لواء و11عميداً و11عقيداً و9 رواد وغيرهم من مختلف الرتب، إضافة إلى أسر ما يربو عن الأربعين [٣] .

أبو مصعب شنان: مهندس الأنفاق في الشمال السوري، من داخل أحد الأنفاق القريبة من مشفى جسر الشغور، ٢٠١٥ م.

أحال أبو مصعب شنان وفريق عمله العديد من معسكرات وحصون النظام أثراً بعد عين، في مقدمتها حاجز الصحابة (المؤلف من ثلاثة مراكز عسكرية) في معسكر وادي الضيف بإدلب. استغرقت العملية خمسين يوماً من العمل المتواصل لستين مجاهداً قاموا بحفر نفقٍ وحشوه بأربعين طناً من المتفجرات ليقتلوا العشرات من جنود النظام ويزيلوا الحاجز بشكل كامل في صورة أشبه بزلزال أرضي عنيف [٤].

في محافظة إدلب أيضاً، تكفّل ١٥٠ مجاهداً (بقيادة وإشراف أبي مصعب) بعد ١١ شهراً من الحفر والعمل الدؤوب [٥] بنسف معسكر الفنار بجبل الأربعين [٦] لتتحرر بعدها معسكرات وحواجز أخـــرى، وصــولاً إلــى السيطــرة علــى مدينـــة أريحـــا.

لم يختلــف الوضـــع كثيراً فـي مدينة حلب التي شهدت أحياؤها القديمة جملة من الهجمات المتتابعة بأنفاق الثورة المتفجرة، أشهرها عملية فندق الكارلتون [٧] (بعد أن حوله جيش النظام لقاعدة له)، إضافةً إلى إزالة مبنى القيادة قرب كتيبة الصواريخ في "خان طومان" بريف حلب، وغيرها من العمليات الحاسمة في معارك الثورة الكبرى.

---

(١) انظر: الخليج أونلاين، باقتحامهم مشفى جسر الشغور.. الثوار يكسرون وعود الأسد لمناصريه، ١٠ مايو ٢٠١٥ م.

(٢) انظر: زمان الوصل، تغريدة واحدة حول "وزير الإنفاق" تثير رعب ٣٠٠ عنصر من جنود النظام، ٢٢ مايو ٢٠١٥ م.

(٣) للمزيد: هادي العبد الله، الحدث، هادي العبد الله متحدثاً للحدث حول الأسرى والقتلى بمشفى جسر الشغور، ٢٤ مايو ٢٠١٥ م.

(٤) للمزيد: الجزيرة، النفق المستخدم في تفجير حاجز الصحابة، ٦ مايو ٢٠١٤ م.

(٥) للمزيد: أبو مصعب شنان، سلاح الأنفاق -الثوار السوريون يستفيدون من خبرة غزة، أورينت نيوز، ١٣ مايو ٢٠١٥ م.

تفجير حاجز الصحابة بوادي الضيف بمحافظة إدلب ٢٠١٤ م

الملفت للنظر هو التطور السريع في قدرات وإنجازات الثوار في مجال الأنفاق الحربية، فبعد أن كانت البداية بدائية بنفق طوله ٥٧ متراً فقط، استطاع الثوار وفي فترة وجيزة الارتقاء بالعمل ليستطيعوا حفر ما طوله ثلاثة كيلومترات في باطن الأرض، إضافة إلى إدخال الاتصالات والأوكسجين اللازم لمواصلة العمل في النفق على مدار الساعة.

ولا يخفى على المراقبين لشؤون الثورة العسكرية أن حركة حماس وذراعها العسكري كتائب القسام كانا من أهم أسباب هذه النقلة الكبيرة، سواءً في الشمال كما ذكر أبو مصعب شنان في عدة لقاءات تلفزيونية (وإن لم يسمهم واكتفى بقول: إخوتنا في غزة)، وذلك بتقديم الاستشارات عن بعد [(٨)] ، أو في الجنوب وتحديداً في بعض الأحياء الدمشقية التي يقطنها فلسطينيون بينهم مقاتلون من كتائب القسام (من قبل الثورة) أسهموا في تدريب الثوار السوريين (بعد الثورة)، وباستخدام خبرتهم في حفر أنفاق تُوصل الثوار إلى مركز العاصمة دمشق [(٩)] .

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطتين هامتين:

الأولى

ضرورة نقل الخبرات العسكرية إلى الثوار والمجاهدين في مختلف بلاد الإسلام؛ لتوفير وقت ودماء المسلمين وللإسهام في رفع مستوى الجميع، وهو ما فعلته حماس والقسام رغم حصارها جغرافياً وسياسياً ومالياً.

---

(٦) للمزيد: أورينت نيوز، لحظة تفجير حاجز الفنار بجبل الأربعين بريف إدلب، ١٣ مايو ٢٠١٥ م.

(٧) انظر: شبكة شام، حلب، لحظة تفجير فندق الكارلتون، ٨ مايو ٢٠١٤ م.

(٨) انظر: أبو مصعب شنان، المسافة صفر -بين المقاتلين في سورية، الجزيرة، الدقيقة ١٤ ، ١٣ نوفمبر ٢٠١٦ م.

(٩)انظر: Joshua Davidovich , Hamas reportedly training rebels, fighting to oust Assad, Times of Israel 5 April 2013 .

التعويل على الأفعال أكثر من الأقوال، فأحياناً قد تصدر تصريحات سياسية (تحت ضغط الأعداء الكثر وقلة الحلفاء والحصار) لحركة إسلامية تبدو في غاية السوء كمدح بعض الأنظمة المجرمة، إلا أن الأفعال تبقى هي المعيار الأهم والميزان الأكثرعدلاً وأهميةً في تقييم أداء هذه الحركات ومشروعها.

وبالانتقال إلى حي جوبر الدمشقي أحد أساطير الثبات والإبداع في الثورة، فقد تمكن مجاهدوه المثابرون من إنشاء شبكة ضخمة متصلة من الأنفاق دفعت بعض الإعلاميين لوصفها بالمدينة تحت الأرض ، وأدت لتحييد الطيران الروسي بعد اقتناعه بعدم جدوى قصف المنطقة [١٠] .

أحد الكمائن المتفجرة التي استهدفت النظام **بحي جوبر** الدمشقي ،٢٠١٨م

هذا الأمر أعطى قوة وقيمة إضافية وأريحية بالتحرك لثوارجوبر، استغلوها أحسن ما يكون عبر نصب الكثير من الكمائن في هيئة أنفاق متفجرة واستدراج قوات النظام لها [١١] ، مما أدى إلى خسائر كبيرة في صفوف النظام وكسر إرادة القتال عند جنوده [١٢] ، ولم يستطع النظام طوال سنوات الحرب تحقيق أي تقدم ملموس على الحي الواقع داخل العاصمة، والذي لم يسقط إلا من فترة قريبة جداً بعد انهيار جميع مناطق الغوطة الشرقية التي كانت تشكل امتداده وعمقه [١٣] .

---

(١٠) للمزيد:فرانس ٢٤ ، جوبر: مدينة تحت المدينة، ٦ نوفمبر ٢٠١٥م.

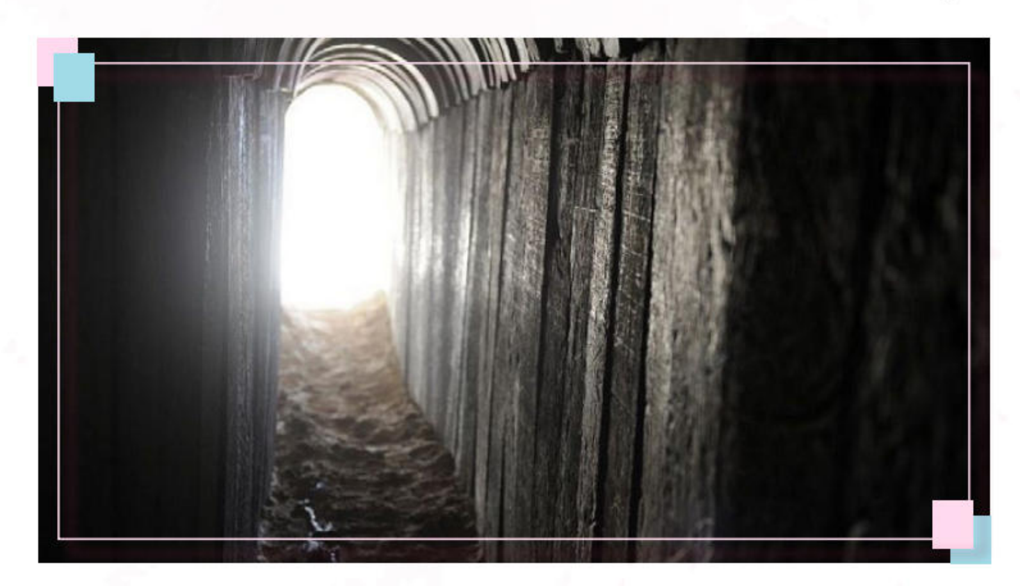
(١١) انظر: بندر الدوشي، مثلث برمودا يبتلع ٤٥ من قوات شقيق "بشار"، صحيفة سبق الإلكترونية، ٢٩ سبتمبر ٢٠١٧ م.

(١٢) انظر: فرانس برس، الدقيقة الأخيرة.

(١٣) انظر: شاهد رسالة من أحد الثوار من داخل حي جوبر الدمشقي، ٢٥ مارس ٢٠١٨م.

(١٤) انظر : History, WWI The First Modern War: The British Unleash Mass Destruction On the Germans | History, 28 July 2014.

ولتوضيح مستوى الدمار الهائل الذي تستطيع أن تحدثه الأنفاق المتفجرة في الحروب وتأثيرها على الأعداء في بعض الأحيان، لا يسعنا إلا أن نستذكر مقتل ١٠,٠٠٠ جندي ألماني في ليلة واحدة بتفجير ١٩ نفقاً مفخخاً من قبل الجيش البريطاني مساء ٧ يونيو ١٩١٧ م أثناء الحرب العالمية الأولى. استغرق التحضير لهذه العملية الجبارة سنتين من العمل الشاق والحفر والتجهيز وصُنفت على أنها الانفجار الأعنف في العالم إذا استثنينا القنابل النووية، بل إن بعض الدول ظنت المسألة زلزالاً وكارثة طبيعية [١٤] !.



خاتمة

تنوعت أهداف وأدوار الأنفاق المتفجرة في الثورة السورية، فمن ناحية أسهمت في صنع حالة من التوازن في الرعب مع النظام وحلفائه على الأرض، من خلال قدرتها التدميرية الهائلة، ومن ناحية أخرى كان لها دور فعال وجبار في المعارك الهجومية والدفاعية، وكانت سبباً مباشراً في تحرير مناطق والحفاظ على مناطق أخرى، غير أن النقطة الأهم والأبرز مع وجود أو فقدان ما سبق (نتيجة سياسة الأرض المحروقة التي تخوضها القوى العالمية ضدنا، عندما تعجز الأنظمة المحلية الموالية لها، ونتيجة ضعف الجانب السياسي عند مجمل الثوار وأسباب أخرى) هي ترسيخ ثقافة التوكل على الله والاعتماد على النفس وبذل أقصى الجهد في التطوير المستمر للذات والقدرات، أثناء المعارك الحالية التي تخوضها بعض الشعوب الإسلامية لتحرير الأرض والإنسان، دون اتكال على الآخر وبلا رفض للمساعدة إن وجدت.



مذكرات الشيـخ رفاعي طه (4)

أول تحقيق في أمن الدولة حين كنت بالصف الأول الثانوي

عندما فهمت معنى الحديث النبوي من ضابط أمن الدولـة

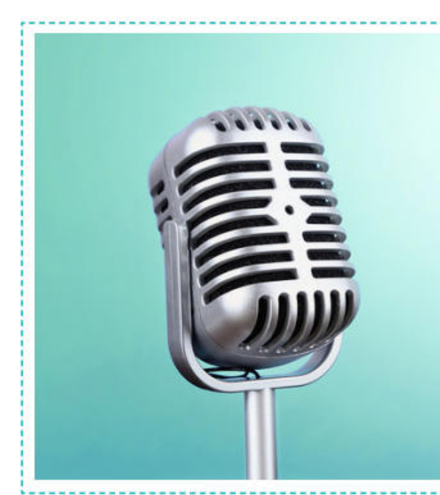
سجلها عنه وحررها: محمد إلهامي

» لقراءة الحلقات السابقة:

كان مقياسُ الدولة الإسلامية عندي مُنحصرا في ثياب النساء وفي الرِّشوة وفي المحسوبية، ففي تلك المدة كانت هذه الثلاثة شائعات جدا، فلا يمكن أن تقضي حاجةً لك دون أن تدفع رِشوة، أو تكون لك واسطة. كان تقديري حينذاك أن الدولة الإسلامية ستقضي على هذه الأمور، وقد كنت حفظت خمسة عشر جزءًا من القرآن خلال التزامي بالكُتَّاب، وكنت أقرأ كذلك في كتب الحديث، وأتذكر قراءتي في صحيح مسلم.

يرجع الفضل في قراءتي كتب الحديث المختصرة إلى الأستاذ عيد الرافعي، كان مدرسًا أوَّلًا للغة العربية، وكان حافظاً لكتاب الله، ولاحظ أنني شاب متدين فكأنه كان يتبناني، وكان لي زميل في المدرسة الثانوية اسمه علي، فكنا -أنا وهو- نجلس كثيرا إلى الأستاذ عيد الرافعي، وكان يطلب مني تحضير حديث الصباح في الإذاعة المدرسية، ولم تكن حينها إلا ثلاثَ فقرات: حديث شريف، كلمة قصيرة، نشرة أخبار.

في كل يوم سبت أُجهِّز بَرنامج الإذاعة، أختار الطالب الذي سيلقي نشرة الأخبار، وأختار الحديث، وأُعدُّ الكلمة. كانت لدى الأستاذ عيد نسخةُ من صحيح مسلم، وكان يُعطيني منها بعض الأحاديث لأحفظها، أو يُحفِّظني إياها أحيانا، وربما طلب مني أن أختار حديثا ثم أقرأَه عليه كي يصحح لي فلا أخطئ فيه، ومن هنا صارت لدي ثروةُ أحاديث في مرحلة يمكن فيها أن أتفكَّر وأتدبَّر وتتشكَّل عندي من حصيلتها رؤيةُ وأفكار.



ذات يوم وقعت عيني على الحكمة القائلة: "سُئل فرعون: من فرعنك؟ قال: حين لم أجد من يردني ويصدني"، فأعجبتني للغاية فوضعتها من فوري على مجلة حائط المدرسة. وفي اليوم التالي اِخترت لحديث الصباح حديثا لم أكن أفهم إلا نصفه فقط، ولم يكن الأستاذ عيد يعلم أني سأقوله، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: "صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة.. الحديث". كنت أفهم نصفه الذي يَنْهَى عن التبرج لكن لم أفهم نصفه الأول، وقد كان غرضي من إلقائه هو مسألة التبرج، إذ كانت كُلُّ نساء المدرسة متبرجات.

غير أن كلامي أصاب منهن واحدة بعينها دون أن أقصد.. تلك هي: الأستاذة إكرام.

كانت إكرام مُدرِّسةَ الدراسات الاجتماعية لصفِّنا "الأول الثانوي"! وكانت مُغرَقةً في التبرج، والأهم من ذلك أنها كانت زوجةَ ضابط مباحث قسم الشرطة في المركز، فإذا بها تُنْزل كلامي على نفسها، وتحسب أنها المقصودة به.

ومن عجائب اليوم أن حصتها علينا كانت في اليوم نفسه وشهدتْ اشتباكا بيننا لم أقصده ولم يخطر ببالي أيضا، لقد قالت أثناء الشرح بأن اللغة العربية هي المسؤولة عن نشر الإسلام في الوطن العربي، فلفت نظري ما تقول، ولم أكن قرأت شيئا في الموضوع من قبل، لكن وجدتني أرد عليها قائلا:

- أعتقد -يا أستاذة- أن الإسلام هو سبب نشر اللغة العربية وليس العكس فالعرب أنفسهم لم يكونوا معروفين قبل الإسلام.

- من قال لك هذا الكلام؟

- لم يقله لي أحد، ولكن هذا ما أفهمه.

ظلت تجادلني وأجادلها في الموضوع، فتأكد لديها أنني أتقصدها وأشاكسها، ومن ثَمَّ ترسَّخ عندها أني أقصدها بالحديث الذي ألقيته عن التبرج صباح اليوم. ثم لا أدري إن كانت هي أم غيرها من ربط هذا بالحكمة التي كتبتها في مجلة الحائط عن الفرعون الذي لم يجد من يرده ولا من يُقوِّمُه. في اليوم التالي وجدتني مطلوبا لأمن الدولة!!

حضر إلى المدرسة المخبر سيد وقال لي "عايزينك في كوم إمبو"، حيث مقر أمن الدولة إذ لم يكن لهم مقر في مركز إدفو، فتفجر في صدري خوف شديد، لماذا أنا؟ ماذا فعلت؟ وما الذي حصل؟.. ثم إني ذهبت.. ذهبت وحدي، فقد كان أبي -رحمه الله رحمة واسعة- يتخوف من تلك الأشياء.

تركوني أربع ساعات منتظرا، وتلك مدة طويلة، طويلة على المنْتَظِر، وهي أطول منها على المنتظر الخائف المترقب، وهي أطول وأطول إن كانت على غلام يافع صغير لم يَخبُر من الدنيا مَخُوفاتِها! ثم أدخلوني إلى التحقيق:

- من قال لك حديث فرعونَ الذي كان على مجلة الحائط؟ وماذا تقصد به؟

- لا أتذكَّر أين قرأته ولكنَّه أعجبني.

- وماذا تقصد به؟

- لم أقصد به شيئًا معيَّنا، فقط أعجبتني الفكرة: الحاكم إذا لم يعترض عليه أحد يكون فرعون.

- كيف تعرف أنت هذه الأمور؟ من قال لك هذا الكلام؟

- لا تحتاج إلى من يُعرِّفني، أي حاكم إذا لم نعترض عليه يكون مثل فرعون! (كنت خائفا، لكني أتماسك وأكابر).

- وحديث النساء العاريات؟!

- هذا حديث عن البنات التي تمشي متبرجة في الشارع، وسبحان الله، لقد وصف النبي حالهن تماما كأنه معنا الآن!

- هل قصدت به أستاذة إكرام زوجة ضابط المباحث؟! أنت لا تحترم أستاذتك، ولا تحترم الرجل الذي يجتهد لحماية البلد.. ضباط المباحث يقاومون الجريمة ويحمون البلد من السرقة.

- لم أقصد هذا المعنى أبدا.. لكن الحقيقة أنك الآن شرحت لي النصف الذي لم أفهمه من الحديث، سبحان الله! حقا ضباط المباحث هم كما وصف النبي بيدهم سياط كأذناب البقر ويضربون بها الناس!!

شعر الضابط من التحقيق أنني أتكلم من تلقاء نفسي، وأنه ليس ثمة أحد يُؤثِّر عليَّ أو يوجِّهني، وأنني غير مندرج في أي نشاط جماعي أو ما شابه.. كنت أتحدث معه ببراءة الغلام الذي يتعرَّف على الحياة ويستقبلها بفطرته السليمة، ويتفهم ما فيها من المعاني والأحداث بنفسه رويدا رويدا. عندما تيقَّن من هذا قال لي: أنت طيب يا رفاعي، وهذا رقم هاتفي، وإذا أردت أي شيء اتصل بي.

رجعت إلى البيت، ولم أهتم بما قال، لكن المهم أن الخوف المهيمن على أجواء الأسرة انقشع حين وصلتُ، وبدأ يتسرب إليها من جديد الشعور بالأمان.

صباح اليوم التالي في المدرسة أقبل عليَّ الناظرُ فسألني: ماذا فعلوا معك بالأمس؟ فقصصت عليه ما كان، فقال لي: يا بني، أنت متفوق، وأنت ابننا، ونحن نحبك، لا تُدخل نفسك في مثل هذه الأمور. فقلت له: لم يحدث شيء، فقط سألوني من أين جئت بهذا الحديث وأجبته وانتهى الأمر. ولقد كان اللافت للنظر أن الأستاذ عيد الرافعي لم يمنعني من الحديث في الإذاعة.

في المدرسة الثانوية شكَّلت مجموعة من الطلاب، كنا أحد عشر طالبا وكنت زعيمَهم رغمَ أني في الصف الأول الثانوي وبينهم مَن هو في الصف الثاني والثالث الثانوي، فكنت أجمعُهم في وقت الراحة بين الحصص الدراسية ونجلس في المسجد لنقرأ ما نجده مفيدا من كتب في مكتبة المدرسة كرياض الصالحين، وأتذكر كتابا أعجبني للغاية وقتها هو "المستطرف في كل فن مستظرف" للأبشيهي، فكنت أقرأ منه على المجموعة. لكن الغرض الخفي الذي جَمَعَنا واتفقنا عليه هو أننا سندخل الكلية العسكرية لنكون ضباطا في الجيش، وننفذ انقلابا عسكريا نقيم به الدولة الإسلامية المنشودة.

لم يعرف أحد نيتنا هذه، لكن الأستاذ عيد الرافعي خشي علينا من مجرد الاجتماع والقراءة في كتب دينية، فأرسل إليَّ ابنه عليًّا لأذهب إليه ببيته، وقال لي بأني أُعرِّض نفسي للمشكلات بمثل هذه الطريقة، واقترح إنقاذا للموقف أن يتقدَّم هو بصفته مدرس اللغة العربية للمدرسة لتحويل تلك المجموعة إلى "أسرة مدرسية" يكون هو مُقرِّرَها، واقترح أن نُسمِّيَها "مجموعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فهكذا تُسبغ على المجموعة صفةُ شرعية رسمية وتكون مندرجةً ضمن نظام الأسر المدرسية بإشراف مدرس وبإذن الناظر، ورحَّبتُ لا شك بالفكرة والاقتراح التي لم تخطر لي على بال، ولم أُطلعه على غرضنا منها، دخول الكلية الحربية.. وهكذا صار لنا غرض معلن وهو "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل المدرسة".



ترجمة مركز حازم[٢]
(ترجمة حصرية)

قطع رأس القيادة

باتريك جونستون[١]



أجادل بأن قطع رأس القيادة فعال.ويمكن ربط قطع رأس القيادة ونجاح مكافحة التمرد بأربعة طرق:

أولا: إن قتل أو القبض على الزعيم الكاريزمي للمتمردين يمكن أن يكسر الروح المعنوية، أو يضعف عزيمة أتباعه على مواصلة القتال. وتشدد الأدبيات الخاصة بتجنيد المتمردين على مشكلة العمل الجماعي في توليد المشاركة بالعصيان. فعلى الرغم من وجود العديد من الطرق التي يمكن بها التغلب على مشاكل العمل الجماعي، فان الزعيم الكاريزمي الذي يمكنه أن يستجيب للمعايير الاجتماعية والشبكات، يُعد واحد منها.

كما أن التخلص من القادة المؤثرين يمكن أن يقوض المشاركة الجماعية في التمرد. حيث يحفز وجود الزعيم الرغبة لدى أتباعه في إرضائه وطاعته، وإزالة الزعيم يمكن أن تضعف التمرد؛ فالمسلحون في دار الإسلام في إندونيسيا، على سبيل المثال، وثقوا في الصفات السحرية لزعيمهم كارتوسويريو[٣] . وبعد مقتله، سرعان ما انهار التمرد. وبالمثل، أُخمد التمرد في بورما بعد أن أُعدم زعيم المتمردين البورميين "سايا سان" [٤]، وهو طبيب وساحر، كان قد استقطب دعما شخصيا للتمرد عبر ترويج التكهنات المرتبطة بالألفية والممارسات الشعائرية، وأُعدم في نوفمبر ١٩٣١.

ثانيا: قتل أو القبض على قادة التمرد يمكن أن يؤدي إلى القضاء على الأصوليين ويترك المجموعة في أيدي قادة أكثر اعتدالا. فإن تمكين المعتدلين على حساب القادة كان دائما استراتيجية تقليدية لمكافحي التمرد والإرهاب. وعلى الرغم من أن مثل هذه الاستراتيجية غالبا ما يُسعى إليها عبر التفاوض مع المعتدلين وليس قتل المتطرفين، فإن الفائدة المتوقعة لكل منها تتشابه تحليليا. ويمكن أن يؤدي تغيير قيادة الجماعة من المتطرفين إلى المعتدلين، إلى قيام المسلحين بإلقاء أسلحتهم. وقد ساعد قطع رأس الزعيم المتطرف على هدوء بورما خلال الحرب الأنجلو البورمية الثانية عام ١٨٥٠ . إذ ساعد البريطانيون الوريث البورمي على العرش "ميندون مين" [٥] على الإطاحة بأخيه الشقيق الملك "باغان مين"، وقد طلب ميندون السلام، وقبِل الحكم البريطاني مقابل السلطة المحلية.

(١) عندما نُشر هذا البحث كان "جونستون" مرشحا لشهادة الدكتوراه بقسم العلوم السياسية بجامعة نورث ويسترن- وزميل ما قبل الدكتوراه بمركز التعاون والأمن الدولي بجامعة ستانفورد.

(٢) hazeminstitute.com

(٣) شارك كارتوسويريو في الجهاد بإندونيسيا ضد الاستعمار الهولندي، وعقب استقلال إندونيسيا عام ١٩٤٨ ، أعلن كارتوسويريو تأسيس (دولة إندونيسيا الإسلامية) في أغسطس ١٩٤٩ ، ليخوض مع جماعته "دار الإسلام" مواجهات مع الجيش الإندونيسي لمدة ١٣ عاما، ليلقى القبض عليه ويُعدم عام ١٩٦٢ . (المترجم).

(٤) سايا سان(١٨٧٦-١٩٣١) هو طبيب بورمي قاد تمردا خلال الفترة (١٩٣٠-١٩٣١) ضد التواجد البريطاني ببورما، وتم إعدامه هو و ١٢٥ من أتباعه عام ١٩٣١ (المترجم).

(٥) ميندون مين(١٨٠٨-١٨٧٨) حكم بورما خلال الفترة من ١٨٣-١٨٧٨(المترجم).

ثالثا:

إن قتل أو القبض على قيادة التمرد يمكن أن يعيق القدرات العملياتية لحركة التمرد وخاصة التخطيط والتنسيق. وإزالـة قيادة التمرد يعرقل التخطيط والعمليات، ويحد من خبرة المجموعة ودرايتها، ويضعف قدرتها على تنسيق الهجمات.

فعلى سبيل المثال عندما اعتقل الجيش السريلانكي زعيم متمردي "جبهة التحرير الشعبي" روهانا ويجويرا"[٦] في أبريل ١٩٧١ تعثرت حملة حرب العصابات التي كان يقودها وينظمها. والواقع أن العديد من الهجمات التي خطط لها ويجيويرا لم تنفذ. وأدى عدم الاتساق التنظيمي لجبهة التحرير الشعبي بعد اعتقال ويجيويرا إلى ترك التمرد عرضة للتدابير الحكومية المضادة، وقد هزمت جبهة التحرير الشعبي بعد فترة وجيزة من القبض على زعيمها.

زعيم الحزب عبد الله أوجلان

رابعا:

عـندما يُقـبض عـلى قـادة الـتمردات، فـإنـهـم يقبلون أحيانا "الدعوة لعقد تسوية" ويتعهدون بذلك لمكافحي التمرد، ويشجعون أتباعهم على وقف العصيان. وهذا يمكن أن يؤدي بمتمردين آخرين إلى الاستسلام، ويضعف التمرد، ويزيد من احتمال الانتصار المتحتم. وفي الواقع، كانت هذه العملية حاسمة في هزيمة المتمردين الفلبينيين خلال الحرب الفلبينية الأمريكية عام ١٩٠٢، وفي تهميش حزب العمال الكردي (PKK) بعد اعتقال زعيم الحزب عبد الله أوجلان عام ١٩٩٨.

---

(٦) تأسست جبهة التحرير الشعبي على يد روهانا ويجويرا الذي درس الطب بجامعة باتريس لومومبا بموسكو، ونجحت قوات الامن بقتله مع مساعده في نوفمبر ١٩٨٩ بكولومبو، بعد تاريخ طويل من النضال، سواء في انتفاضة عام ١٩٧١ ضد الحكومة السريلانكية، أو التمرد اللاحق الذ دشنه عام ١٩٨٧ وانتهى عام ١٩٨٩ (المترجم).



الطبوغرافيا وحروب العصابات

د. عمرو عادل

في البداية أقدم التهنئة لمجلة كلمة حق على بلوغ عامها الأول، واستطاعت المجلة خلال هذا العام تقديم فكر مقاوم متطور، وأرى أن كل العاملين في مجال المقاومة بأشكالها المتعددة تقدم لهم هذه المجلة قيمة مضافة، شرفت أن أشارك في غالب الأعداد السابقة وأتمنى أن تحافظ المجلة على مسارها التوعوي المتميز.

نعـود لمقال اليوم، أمامـنا مصطلحان نحتاج أن نتعرف على كل منهما قبل الدخول في العلاقة بينهما، أولا: الطبوغرافيا هي تمثيل دقيق لسطح الأرض بعناصره الطبيعية والبشرية وهي علم توقيع ورسم الهيئات الطبيعة والاصطناعية بمقياس رسم وبرموز اصطلاحية متفق عليها دوليا، على قطعة من ورق أو ما شابه ذلك وتسمى بالخريطة. والخريطة أحد الأمور التي لا تفارق أي شخص يفكر في التمرد؛ فهي أحد الرفقاء الأمناء التي تنقذه من أكثر المواقف خطورة وصعوبة، ولذلك أن تتعلم كيف تقرأ خريطة وتوقع خريطة تقريبية أحد المهارات التي لا يمكن تجاوزها لكل فرد في أي محاولة للتمرد وخاصة القيادات التنظيمية والميدانية.

أما حروب العصابات فهي شكل من أشكال القتال بين مجموعات مسلحة ونظام احتلال أو نظام استبدادي يمارس الاحتلال بالوكالة، وهو أسلوب يلجأ إليه الطرف الأضعف عند حتمية المواجهة مع الطرف الأقوى.

إذا فنحن أمام مواجهة من قطاع ما من الشعب مع قوات نظامية عسكرية، تتحكم عدة عوامل في طبيعة الصراع، ومن أهم تلك العوامل الاستراتيجية هي طبيعة أرض الصراع، وطبقا لطبيعة الأرض تتحدد عدة عقبات تختلف من طبيعة إلى أخرى، إلا أنه في النهاية كل منها له ميزاته وعيوبه.

ويمكن القول إن طبيعة الأراضي يمكن تقسيمها إلى القطاعات الرئيسية التالية:

١ الصحاري
٢ الأراضي الجبلية
٣ الغابات
٤ المناطق الحضرية
٥ المناطق الريفية

وبالتأكيد المناطق الصحراوية المكشوفة أسوأ مكان يمكن الاعتماد عليه للاختباء واتخاذ نقاط تجمع آمنة أو مناطق لوجستية للأسلحة أو غيرها من مستلزمات القتال، ويمكن الاعتماد على بعض النقاط داخل الصحاري في حالة وجود نقاط طبيعية أو صناعية يمكن التحصن بها وتكون أمنة للمقاتلين وخاصة في حالة الرصد الجوي في الوقت الحاضر، كما أن المناطق الصحراوية ممتازة ومدمرة للكمائن المحكمة لقوات العدو إذا كان المقاتلين يمتلكون مهارة التحرك والاختباء في الصحراء، ويمتلكون عدة نقاط آمنة في مسار تحركهم من معسكراتهم إلى نقاط تنفيذ العمليات، وهذا يعتمد قطعا على معرفتهم التامة بالأرض.

إذا لا يمكن استخدام المناطق المكشوفة المفتوحة بشكل عام كمناطق آمنة للمتمردين، إلا أنها ظهير قوي لهم في حالة معرفتهم الكاملة والدقيقة بمهارات التحرك في الصحاري.

وكما ذكرنا كل مكان له ميزاته، وتتحدد مدى إمكانية المكان على ممارسة تكتيكات حرب العصابات على العوامل التالية التي قد تتوفر في أي قطاع من الأراضي.

أولا: صعوبة الرصد

سواء كان المقصود بالرصد رصد النظم الأمنية الرسمية أو التابعين لهم من الجماهير، على سبيل المثال الصعوبة الرئيسية في المناطق القديمة والمناطق العشوائية والشعبية بالمدن – والتي تبدو أنها أسهل الأماكن لبناء منظومة التمرد –ليست في قوات الأمن بقدر ما هي في الأفراد التابعين للأمن والعاملين معهم من الجماهير، لذلك ربما يكون هؤلاء العدو الأول لأي قوات متمردة داخل المدن.

ثانيا: صعوبة تحرك القوات المعادية

سواء كان ذلك للطبيعة الطبوغرافية من الجبال أو الشوارع الضيقة أو الازدحام الشديد، وكلما كانت معرفة المتمردين بطبوغرافيا الأرض جيدة؛ كلما كانت قدراتهم أعلى على تدمير القوات المعادية في حالة اقترابها.

ثالثا: سهولة الحصول على المواد الغذائية والإمدادات الأخرى

فالمناطق الزراعية والغابات والمدن هي أفضل الأماكن من هذه الناحية؛ حيث تتوفر المواد الغذائية بسهولة، بينما تزداد صعوبة الحصول عليها في المناطق الجبلية والصحاري، ولذلك فإن وجود خطط وخطط بديلة لخطوط الإمداد واحدة من الأمور المفصلية في تنظيم قوات حروب العصابات في الصحاري والجبال.

رابعا: المعرفة التامة بطبوغرافيا المكان

من يعرف الأرض أكثر يكون أقرب إلى النصر؛ لذلك فإن معرفة كل حبة رمل وكل صخرة وكل طريق وكل مكان قابل للاختباء وكل مسار للهروب وكل مكان آمن وكل شخص يعيش بالمكان، من مستلزمات قوات حروب العصابات، وكل معلومة مضافة من هذه المعلومات تمثل قيمة مضافة للمتمردين، سواء في حماية أنفسهم، أو لنصب كمائن للقوات الحكومية المغيرة، أو للهروب الآمن في حالة عدم القدرة على التصدي للقوات المعادية، وضرورة وجود مناطق متعددة وليست منطقة واحدة للتجمع، وهناك بالتأكيد عناصر أخرى في التنظيم الثوري تتعلق بالأمان وعدم تجميع أعداد كبيرة في مكان واحد ليس هذا مجالها، فالحديث فقط عن أهمية الطبوغرافيا للمتمردين.

ومما سبق يتضح أن لكل قطاع ميزات وعيوبا، وبالتالي ليس هناك قطاع يستحيل العمل به، ربما هناك قطاع أفضل من الآخر، والصحاري هي الأصعب بالتأكيد وخاصة على المعتادين على الحياة في المناطق الحضرية والريفية، إلا أن الصحاري والجبال ليست مناطق مستحيلة كمناطق تمركز للمتمردين في حروب العصابات كمناطق آمنة لهم، ولو نظرنا إلى التجارب التاريخية لحروب العصابات نجدها في كل القطاعات المذكورة ربما بنسب نجاح متقاربة، فعمر المختار في ليبيا الصحراء القاحلة، ومحمد عبد الكريم الخطابي في المغرب البيئة الريفية والجبلية، وفي ثورة الجزائر داخل المدن والجبال، وفي أمريكا الجنوبية في مناطق الغابات والمدن، حقق كل هؤلاء نجاحات باهرة في عمليات المقاومة والتمرد على الاحتلال أو النظم الاستبدادية.



فالقضية ليست في طبيعة المكان الطبوغرافية بقدر ما هي في معرفة الأرض وتأمين خطوط الإمداد والقدرة على التخفي والهروب والقدرة على إعاقة تقدم العدو، وفوق كل ذلك إرادة العمل المقاوم والتنظيم الجيد للتمرد.

ولذلك القول الدارج بأن الطبيعة الجغرافية - من الناحية الإجرائية - عائقا أمام التمرد المسلح يقترب أن يكون حالة من حالات التثبيط العام، قد يرى البعض أن هذا ليس حلا من الناحية السياسية والاستراتيجية، أو أنهم غير قادرين على ذلك وهذا قد يكون مقبول، أما القول باستحالة ذلك على العموم فهذا خطأ ينبغي عدم الوقوع فيه.



سيرة شهيد

محسن صالح

ولد المهندس عمر رفاعي سرور في يناير ١٩٧٦ بمدينة القاهرة. ختم القرآن وحفظ الأربعين النووية في العاشرة من عمره. بدأت أولى مرات اعتقاله وهو فى الصف الثاني الإعدادي، بتهمة الكلام مع المدرسين عن تحكيم الشريعة، أخلي سبيله حينها بعد أسبوعين ليعاد اعتقاله في المرحلة الثانوية عدة مرات بنفس التهمة .

بجوار تلمذته على علم أبيه الشيخ رفاعي سرور رحمه الله، حرص على تعلم العلوم الشرعية وحضور مجالس العلم في العقيدة والحديث وغيرها، لكثير من الشيوخ؛ كالشيخ فوزي السعيد والشيخ سيد العربي وغيرهما. التحق بعد الثانوية الأزهرية بكلية الهندسة جامعة الأزهر، وحصل على بكالوريوس الهندسة سنة عام ٢٠٠٣ م.

كان حريصا رحمه الله على ربط شباب المنطقة بالمسجد للصلاة، ونشر الوعي بينهم وتحبيب العبادات إليهم، حتى كانت أيام الاعتكاف والتهجد تحت إشرافه من أجمل أيام العمر، كما حكى بعض إخوانه فيما بعد. ليلة زفافه كان مطلوبا من الأمـن بعد مناظرة مع أحد مدعي السلفية حول حقيقة الإرجاء وتكفير الحاكم بغير ما أنزل الله؛ فاضطر أهله لتهريبه هو وعروسه، لكن سرعان ما ضُبط واعتقل حينها شهرا بقسم حدائق القبة .

مع احتلال الأمريكان للعراق، ومع انتشار فكرة سفر الشباب للجهاد ودفع الصائل، اعتُقل عمر بتهمة التجهيز للسفر للعراق وتحريض الشباب على السفر للجهاد، كان حينها يبلغ من العمر ٢٦ عاما، اعتقل على هذه الخلفية 9 سنوات، قضاها ما بين سجن طُرة، وسجن أبي زعبل، وسجن الوادى الجديد.

خلال مدة اعتقاله، التحق بكلية أصول الدين، لشغفه بدراسة علم التفسير؛ ليحصل على الليسانس داخل السجن، وبعد ثورة يناير خرج كغيره من المعتقلين من السجن ليكمل مسيرة الدعوة بين الشباب، إلا أنه ركز خلال تلك الفترة على التوعية بخطورة الديمقراطية على الشعوب.

إبان الانقلاب العسكري على الشعب المصري، كان عمر على قائمة المطلوبين أمنيا وظل مطاردا لعدة أشهر حتى قرر السفر إلى ليبيا عام ٢٠١٣ م.

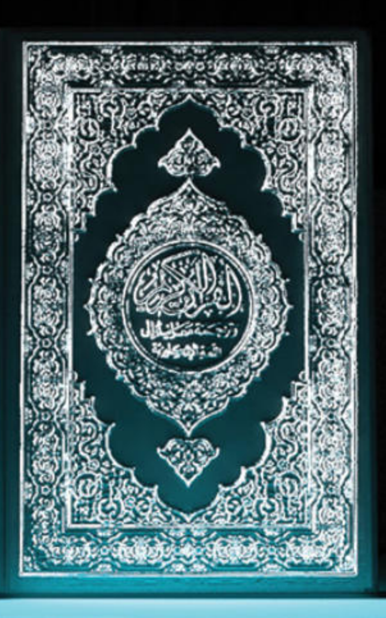
خلال وجوده بليبيا، حرص على جمع الكلمة وتأليف القلوب بين تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة، من خلال جلسات ومناظرات، نجح خلالها بفضل الله في رد كثير من شباب تنظيم الدولة عن الفكر التكفيري، مما أثار حفيظة قادة التنظيم ضده، حتى أصدروا منشورا بتكفيره وإباحة دمه .

بعد سيطرة ثوار ليبيا على مدينة درنة سيطرة كاملة، وسحبها من يد حفتر، عيّنه ثوار ليبيا القاضي الشرعي للمدينة، وفورا أسس عمر مجلس شورى المجاهدين بدرنة؛ ليسهل تنظيم وترشيد العمل الجهادي وتدبير أمر المجاهدين.

في شهر أبريل ٢٠١٨ ، اشتد حصار التحالف الصليبي بمعاونة حفتر على مدينة درنة، واشتدت عمليات القصف على المدنيين، فقام عمر وإخوانه بالدفاع عن المدينة رافضين الاستسلام وتسليم المدينة، حتى حكت بعض المواقع الليبية عن عمر قائلةً: "عمر رفاعي يحث الناس في الشوارع على الصمود والثبات في دفع الصائل"! حتى قضى الله لعمر الارتقاء إلى ربه إليه في الاشتباكات، في العاشر من شهر يونيو ٢٠١٨ ، في ليلة الخامس والعشرين من رمضان.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الأية (٥٢)



كلمة حق | العدد الثاني عشر ، يوليو ٢٠١٨

www.klmtuhaq.blog



القُوَّة في السِّياسةِ الشَّرعِيَّةِ (٢)

د. وصفي عاشور أبو زيد

المبحث الثالث

القوة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

مما لا شك فيه أن القوة من خصائص الإسلام؛ حيث إنه دين قوي متين (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) سورة الحديد: ٢٥ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه ثم قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف وقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نضرب بهذا - يعني السيف - من عدل عن هذا - يعني المصحف" (١).

وفي السطور الآتية نحاول استكشاف رؤية القرآن الكريم والسنة النبوية عن القوة.

أولا: القوة في القرآن الكريم:

وردت كلمة "قوة" في القرآن الكريم بمعان مختلفة وفي مواضع وسياقات متنوعة، نورد ما استطعنا الوقوف عليه في الكتاب العزيز فيما يلي:

{ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون } (٦٣) . البقرة.

{ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين } (١٤٥) الأعراف.

{وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (١٧١) } الأعراف.

{قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) آتوني زبر الحديد } الكهف.

{يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا (١٢) وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا (١٣) وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا (١٤) وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا (١٥) } مريم.
{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) } الأنفال.

{كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون (٦٩) } التوبة.

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: ٣٧ . لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبعة دار المعرفة.

{ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (٥٢) } . هود.

{قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد (٨٠) } لوط.

{ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون } (٩٢). النحل.

{ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا (٣٩) }. الكهف.

{قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (٣٣)}. النمل.

{قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨) } . القصص.

{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٩) } . الروم.

{الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (٥٤) }. الروم.

{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا (٤٤) } . فاطر.

{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق (٢١) }. غافر.

{أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) }. غافر

{فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون (١٥) }. فصلت.

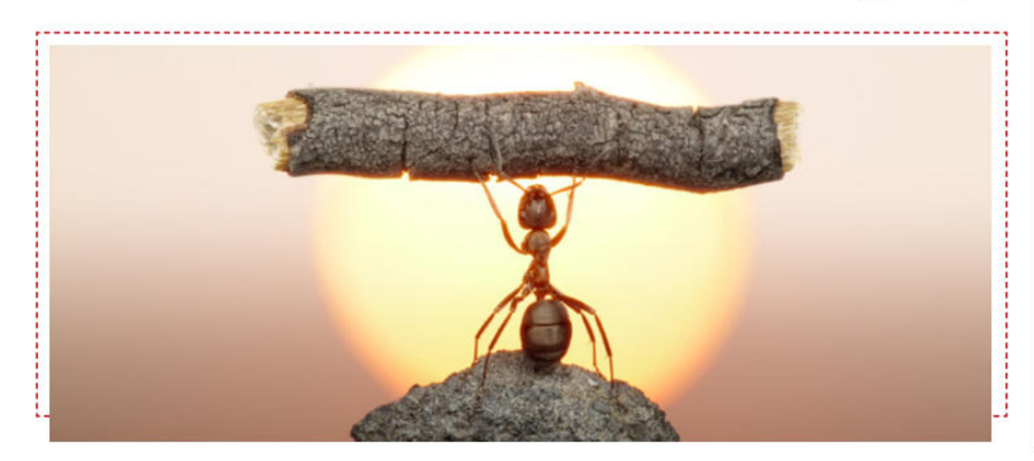
{وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (١٣)}. محمد.

{إنه لقول رسول كريم (١٩) ذي قوة عند ذي العرش مكين (٢٠) مطاع ثم أمين (٢١) }. التكوير.

{يوم تبلى السرائر (٩) فما له من قوة ولا ناصر (١٠) }. الطارق.

وقفة تأملية في الآيات الكريمة:

ما سبق إيراده هو آيات كريمة جاءت فيها لفظة "قوة" نصًا، وإذا تأملنا القوة بمعانيها المختلفة ومرادفاتها وجدنا الأمر ذا سعة في القرآن الكريم، واقتصرنا هنا على مواضع ورود لفظتها فقط، وهي مواضع كافية لإبراز معاني القوة في القرآن من خلال مواضعها وسياقاتها، وهي مواضع كثيرة تدلنا على أهمية موضوعها، فمن أمارات أهمية موضوع ما وروده في القرآن الكريم كثيرا، فإن القرآن العظيم لا يُولِي موضوعا ما بمساحة واسعة إلا كان تعبيرا عن أهميته الكبيرة.



ولا يسعنا في هذا المقام أن نتجاوز ما بينه الراغب الأصفهاني في كتابه العظيم مفردات القرآن، وهو يتحدث عن معاني القوة في القرآن، قال:

القوة تستعمل تارة في معنى القدرة، نحو قوله تعالى: {خذوا ما آتيناكم بقوة} [البقرة/٦٣]، وتارة للتهيؤ الموجود في الشي، نحو أن يقال: النوى بالقوة نخل (أي: يمكنه أن يصير نخلا)، أي: متهيئ ومترشح أن يكون منه ذلك، ويستعمل ذلك في البدن تارة، وفي القلب أخرى، وفي المعاون من خارج تارة، وفي القدرة الإلهية تارة. ففي البدن نحو قوله: {وقالوا من أشد منا قوة} [فصلت/١٥]، {فأعينوني بقوة} [الكهف/٩٥] فالقوة ههنا قوة البدن بدلالة أنه رغب عن القوة الخارجة، فقال: {ما مكني فيه ربي خير} [الكهف/ ٩٥]، وفي القلب نحو قوله: {يا يحيى خذ الكتاب بقوة} [مريم/١٢] أي: بقوة قلب. وفي المعاون من خارج نحو قوله: {لو أن لي بكم قوة} [هود/٨٠] قيل: معناه: من أتقوى به من الجند، وما أتقوى به من المال، ونحو قوله: {قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد} [النمل/٣٣]، وفي القدرة الإلهية نحو قوله: {إن الله قوي عزيز} [المجادلة/٢١]، {وكان الله قويا عزيزا} [الأحزاب/٢٥] وقوله: {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات/٥٨] فعام فيما اختص الله تعالى به من القدرة وما جعله للخلق. وقوله: {ويزدكم قوة إلى قوتكم} [هود/٥٢] فقد ضمن تعالى أن يعطي كل واحد منهم من أنواع القوى قدر ما يستحقه، وقوله: {ذي قوة عند ذي العرش مكين} [التكوير/٢٠] يعني به جبريل عليه السلام، ووصفه بالقوة عند ذي العرش، وأفرد اللفظ ونكره فقال: {ذي قوة} تنبيها أنه إذا اعتبر بالملإ الأعلى فقوته إلى حد ما، وقوله فيه: {علمه شديد القوى} [النجم/٥] فإنه وصف القوة بلفظ الجمع، وعرفها تعريف الجنس تنبيها أنه إذا اعتبر بهذا العالم، وبالذين يعلمهم ويفيدهم هو كثير القوى عظيم القدرة. والقوة التي تستعمل للتهيؤ أكثر من يستعملها الفلاسفة، ويقولونها على وجهين:

أحدهما: أن يقال لما كان موجودا ولكن ليس يستعمل، فيقال فلان كاتب بالقوة. أي: معه المعرفة بالكتابة لكنه ليس يستعمل،

والثاني: يقال فلان كاتب بالقوة، وليس يعني به أن معه العلم بالكتابة، ولكن معناه: يمكنه أن يتعلم الكتابة. وسميت المفازة قواء، وأقوى الرجل: صار في قواء (قال الخليل: أرض قواء: لا أهل فيها. العين ٢٣٧/٥)، أي: قفر، وتصور من حال الحاصل في القفر الفقر، فقيل: أقوى فلان، أي: افتقر، كقولهم: أرمل وأترب. قال الله تعالى: {ومتاعا للمقوين} [الواقعة/٧٣] [1].

---

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني: ٢/ ٢٧٤-٢٧٥. دار القلم. دمشق.



هكذا يبين لنا الراغب معاني القوة في القرآن، أو يقررها ويستشهد لها من القرآن، وقد حصر من معانيها: القدرة، والتهيؤ الموجود في الشيء، سواء استعمل في البدن أو القلب أو المعاون من خارج، والقدرة الإلهية، وجبريل عليه السلام، والافتقار والحاجة، ومع مزيد التأمل في أنواع القوة الموجودة يتبين لنا أن فيها قوة سياسية وقوة اقتصادية وقوة اجتماعية وقوة عسكرية، وغيرها من أنواع القوة.

ثانيا: القوة في السنة النبوية:

أما السنة النبوية فسنقتصر كذلك على إيراد ما نقف عليه فيها مما ورد بنص الكلمة "قوة"، ومن ذلك:

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[١].

قال النووي في الشرح: (المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك. (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خيرٌ لاشتراكهما في الإيمان[٢].

وما جاء عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ "[٣].

قال النووي في الشرح: "هذا تصريح بتفسيرها وردّ لما يحكيه المفسرون من الأقوال سوى هذا، وفيه وفي الأحاديث بعده فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح وكذا المسابقة بالخيل وغيرها كما سبق في بابه والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه ورياضة الأعضاء بذلك"[٤].

ففي حديث أبي هريرة تحدث عن القوة بشمولها ومختلف أنواعها، فالمؤمن القوي خير؛ حيث أطلق الحديث وصف الخيرية ولم يقيده بنوع من القوة، وفي حديث عامر خصصها بالقوة الحربية العسكرية التي تعين على القتال، وتثمر هزيمة العدو، وتحقق مقاصد الجهاد.

بل إن القوة شعار الإسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة, واسمع ما كان يدعو به النبي – صلى الله عليه وسلم – في خاصة نفسه، ويعلمه أصحابه، و يناجي به ربه: (اللّهُمّ إِنّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْهَمّ وَالْحَزَنِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأعوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ والْبُخْلِ وَأعوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدّيْنِ وَقَهْرِ الرّجَال)[٥], ألا ترى في هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف: ضعف الإرادة بالهم والحزن, وضعف الإنتاج بالعجز والكسل, وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل, وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر؟ فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قويا في كل شيء, شعاره القوة في كل شيء ؟[١].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر. باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

(٢) شرح النووي على مسلم: ١٦/ ٢١٥. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثانية. ١٣٩٢هـ.

(٣)صحيح مسلم: كتاب الإمارة. باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه.

(٤) شرح النووي على مسلم: ١٣: ٦٤.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الدعوات. بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ غَلَبَةِ الرِّجَالِ.

وعن مكحول أن عمر بن الخطاب كتب إلى أهل الشام أن علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية[٢].

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها"[٣].

كل هذه النصوص من السنة النبوية وأقوال العلماء في شروحها وبيانها تشير إلى أهمية القوة ومكانتها وضرورتها، وبيان آثار وجودها على مستويات الفرد والمجتمع والأمة.

المبحث الرابع

عناصر القوة ومجالاتها

تحدث بعض علمائنا قديما عن القوة وأنواعها ومفاهيمها ومجالاتها؛ فهذا الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية يرحمه الله، يقول: والقوة في كل ولاية بحسبها؛ فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها فإن الحرب خدعة وإلى القدرة على أنواع القتال: من رمْي وطعن وضرب وركوب وكر وفر ونحو ذلك، كما قال تعالى { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل } وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا] وفي رواية : [فهي نعمة جحدها] رواه مسلم. والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام ، ولأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنا قليلا، وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل حكم على الناس في قوله تعالى: { فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة فرجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا: من رسالة المؤتمر الخامس.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ٤/ ٤٦٧. رقم (١١٣٨٦). مؤسسة الرسالة. الطبعة الخامسة.١٤٠١هـ.

(٣) قال الهيثمي: رواه البزار، والطبراني في الصغير والأوسط، وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات". مجمع الزوائد: 5/ ٣٢٣. دار الفكر. بيروت.١٤١٢هـ.

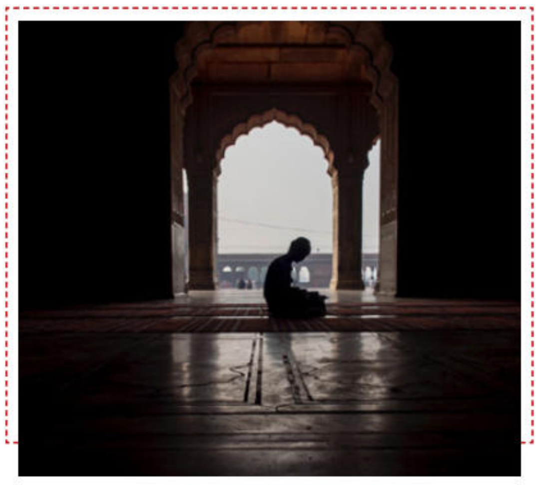
النار ورجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة] رواه أهل السنن. والقاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما سواء كان خليفة أو سلطانا أو نائبا أو واليا أو كان منصوبا ليقضي بالشرع أو نائبا له حتى يحكم بين الصبيان في الخطوط إذا تخايروا هكذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، وهو ظاهر (١).

وتحدث الأستاذ الشيخ حسن البنا عن أنواعها ودرجاتها فقال: أول درجة من درجات القوة: قوة العقيدة والإيمان, ثم يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط, ثم بعدهما قوة الساعد و السلاح(٢).

ويتنوع الحديث عن أنواع القوة وعناصرها ومجالاتها بحسب الوجهة التي نتجه إليها، أو الزاوية التي ننظر منها، أو المنطلق الذي ننطلق منه.

أولا: فهي بالنظر إلى الفردية والجماعية، تنقسم إلى:

قوة الفرد وقوة الأمة:



فقوة الفرد هي قوة تتصل بالفرد وتكوينه المتنوع، تشمل قوة العقل وقوة النفس وقوة البدن، فقوة العقل تعني تحصيل العلم الدائم وتنمية العقل بمهاراته المختلفة، والحفاظ على هذا بالتعرف الدائم إلى الحقائق، وإلى إثبات القضايا والأفكار وفق قول الله تعالى: "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" . البقرة : ١١١. وقوله: وقوله: "قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا". سورة الأنعام: ١٤٨.

وقوة النفس أو الروح تعني تقويتها بالعبادات المتنوعة والشعائر المؤثرة التي جعلها الله وسائل لتنمية الروح وتزكية النفس وترقيق القلب، فقوة الإيمان مصدر شجاعة خارقة للعادة بحيث يفرح المؤمن بالموت لأنه يوصله إلى ربه ، كما أنها تفجر قلب المؤمن بأنواع من المعرفة والحكمة بما لا نظير له في ثمار قوة أخرى.

(١)السياسة الشرعية: ٢٥.

(٢)مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا: من رسالة المؤتمر الخامس.



وقوة البدن تشمل تقويته بما شرعه الله تعالى حتى يتأهل ليقوم بفرائض الله ويــؤدي واجـبـات الـشـرع ويحقق المقاصد المشروعة من خلقه، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في بيان قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال في سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها, فاختار الله لها زعيما قوي الفكر وقوي الخلق, وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه, فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل في تزكيته طالوت : (قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) (البقرة:٢٤٧) .

ولقد شرح رسول الله هذا المعنى في كثير من أحاديثه , وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم , كما حثهم على قوة أرواحهم , فالحديث الصحيح يقول : (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف)[١] ويقول (إن لبدنك عليك حقا)[٢] . ولقد بين رسول الله للأمة كثيرا من قواعد الصحة العامة وبخاصة في علم الوقاية , وهو أفضل شطري الطب فقوله صلى الله عليه وسلم : (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)[٣] وتحريه فيما يشرب من ماء , وفي الحديث: (كان يستعذب الماء)[٤], ونهيه عن البول والتبرز في المياه الراكدة , وإعلانه الحجر الصحي على البلد المطعون وأهله , فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم , وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم , وأخيرا عنايته بكثير من فروع رياضة البدن كالرمي والسباحة والفروسية والعدو , وحث أمته عليها وعلى العناية بها.

وقد وضع الشرع تدابير لهذا كله بما يوجد العقل الراشد، والنفس الزاكية، والبدن القوي، وما يعمل على حفظها واستمرارها محفوظة قوية باقية.

---

(١) سبق تخريجه، وهذه الفقرة منقولة من المرجع السابق.

(٢)مجمع الزوائد: كتاب الفتن - أعاذنا الله منها. أبواب في وقعتي الجمل وصفين. باب فيما كان بينهم يوم صفين - رضي الله عنهم.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.



وأما قوة الأمة فالمقصود بها أن تصير مرهوبة الجانب قوية الشكيمة، عندها من موارد القوة ومصادرها، ومظاهرها ومنابعها ما يُرْهب أي عدو خارجي أو داخلي، ويمنعه من إيقاع أي عدوان أو ظلم؛ تحقيقا لقول الله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُم وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ". سورة الأنفال: ٦٠.

ثانيا: وهي بالنظر إلى مجالاتها تنقسم إلى:

قوة العقيدة - قوة الخلق - قوة العلم - قوة الاقتصاد - قوة التماسك الاجتماعي - قوة الجهاد

وقد ألف الشيخ السيد سابق - يرحمه الله - كتابا كاملا عنوانه: "عناصر القوة في الإسلام"، تحدث فيه عن هذه الأنواع من القوة، ورأى أن هذه هي العناصر التي تضمن للإسلام قوته وبقاءه واستمراره.

وحسبنا أن ننقل هنا ما جاء في مقدمته؛ حيث قال:

"دور الأمة الإسلامية دور إمامة وزعامة، وقد أمدها الإسلام بالعناصر التي تؤهلها لهذا المنصب الخطير.. ومن هذا المنصب الخطير تتألف القوة الحقيقية التي تصل بالأمة إلى غايتها، من العزة و المتعة، والمجد و السؤدد، والسيادة والقيادة، والتمكين في الأرض .. وليست هذه العناصر مقصورة على جانب دون جانب، وإنما تتناول جوانب الحياة جميعا فهي تتمثل:

- في الايمان بالله إيمانا يحرر الضمير والوجدان .
- وفي الاعتصام، بالحق استعصاما يزهق أمامه الباطل ويندحر.
- وفي معرفة الضعف النفسي، و التطهر منه، حتى تأخذ النفس طريقها إلى العزة والسمو.
- وفي العلم المقوم لشخصية الإنسان، والكاشف عن حقائق الوجود المادي، وما وراء هذا الوجود من عالم ما وراء الطبيعة.
- وفي الثروة ، وتعمير الأرض، و استثمار قوى الكون والانتفاع بما في الطبيعة، من بركات الله وخيراته، وتوزيعها على أفراد الأسرة الإنسانية بالكفاية والعدل.
- وفي إقامة المجتمع على أساس من الحرية والعدالة، والمساواة والتشريع السمح، والعمل الجاد، والمعاشرة الحسنة، والحكم الصالح التي تكون فيه السيادة للأمة.

- وفي السلام القائم على احترام الإنسان وكفالة حقوقه.
- وفي احترام العهود والحفاظ على المواثيق.
- وفي التضحيـة النبيلـة والاستشهـاد فـي سبيل الحق ومن أجـل الحياة الحرة الكريمـة.

هذه هي عناصر القوة في الاسـلام، وهي ليست مثل القوة التي اصطلح الناس عليها، فهي قوة في العقيدة، وقوة الخلق، وقوة في العلم، وقـوة فـي المـال، وقـوة فـي التماسـك الاجتماعي، وقوة في التنظيم السلمي، وقوة في الاستعداد الحربي، وسيادة الأمة وقيادتها منوطة بتوفر هذه القوى مجتمعة"[1].

وقد توسع الشيخ - رحمه الله تعالى - في التأصيل والاستشهاد من نصوص القرآن والسنة لكل قوة من هذه القوى بما يجلي حقيقتها ويوضح مكانتها ويبين أثرها على الفرد والأمة.

ثالثا: وهي بالنظر إلى الداخل والخارج تنقسم إلى:

قوة داخلية وقوة خارجية:

وتتمثل القوة الداخلية في :

(١) أن يكون المجتمع قويا متماسكا، من خلال الأسر القوية، التي تعتبر الوحدة الأولى في بناء المجتمع القوي المتماسك، ولا غرو أن يتحدث القرآن الكريم عن الأسرة كما يتحدث عن الدولة!

(٢) يحتاج الحاكم هنا إلى رعاية الأئمة والخطباء الذين سيرسخون هذا التماسك الاجتماعي، ويحققون الأمن الثقافي والفكري بلا طغيان ولا إخسار، ولا إفراط ولا تفريط. فالدعاة والعلماء هم الضمانة الحقيقية لتحقيق هذا التماسك الداخلي وإيجاد الأمن الفكري، ومن هنا وجب على الدولة أو الحاكم رعايتهم ودعمهم.

---

(1) عناصر القوة في الإسلام: ٣-٤. السيد سابق. دار الفتح للإعلام العربي. القاهرة. الطبعة الثانية ٢٠٠٦ م.

ثالثا: وهي بالنظر إلى الداخل والخارج تنقسم إلى:

قوة داخلية وقوة خارجية:

وتتمثل القوة الداخلية في :

(١) أن يكون المجتمع قويا متماسكا، من خلال الأسر القوية، التي تعتبر الوحدة الأولى في بناء المجتمع القوي المتماسك، ولا غرو أن يتحدث القرآن الكريم عن الأسرة كما يتحدث عن الدولة!

(٢) يحتاج الحاكم هنا إلى رعاية الأئمة والخطباء الذين سيرسخون هذا التماسك الاجتماعي، ويحققون الأمن الثقافي والفكري بلا طغيان ولا إخسار، ولا إفراط ولا تفريط، فالدعاة والعلماء هم الضمانة الحقيقية لتحقيق هذا التماسك الداخلي وإيجاد الأمن الفكري، ومن هنا وجب على الدولة أو الحاكم رعايتهم ودعمهم.

(٣) كذلك لتحقيق القوة الداخلية يجب على الحاكم أن يأخذ على أيدي المجرمين، ويجفف منابع الجريمة، ويقضي على الفكر المتطرف بالحوار الهادئ والنقاش البناء، كما فعل عبد الله بن عباس وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم.

(٤) أن تتحقق الواجبات الكفائية في المجتمع، من طب وهندسة وتصنيع وتجارة وزراعة وإنتاج، وتوفير مختصين في علوم مختلفة، وبهذا تتحقق للمجتمع الكفاية الذاتية، وهو الطريق البارزة لجعل المجتمع قويا حرا، لا يرهبه تهديد معتدٍ، ولا يرغِّبه ترغيب مرغِّب.

أما القوة الخارجية فتتمثل في:

(١) كل نقاط القوة الداخلية تسهم إسهاما واضحا في القدرة على التعامل الخارجي، وتهيء الفرصة لبناء سياسات خارجية راشدة.

(٢) أن تتعامل الأمة مع نظائرها من الأمم بندية وعزة وقدرة، لا أن تستخذى وتذل كما نراه في كثير من التعامل اليوم.

(٣) الإسهام في بناء اتحادات وتكتلات قوية تستطيع من خلالها إحداث التوازن العالمي للأمة المسلمة مع غيرها من الأمم؛ فقد أصبحت الاتحادات والهيئات هي لغة العصر الذي لم يعد يعرف الأفراد ولا العمل الفردي.

(٤) أن تعمل على تبادل المصالح المشتركة بين الأمم لتحقيق التعاون الإنساني العالمي والتعارف الأممي والتكامل البشري؛ عملا بقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...". سورة الحجرات: ١٣.

الأكذوبة الكبـــرى

(1)



د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

الديمقراطية .. ما هي ؟ وما حقيقتها ؟ خيرُ هي أم شرّ ؟ نفعُ هي أم ضُرّ ؟ نظامُ راشد ينبغي أن تفيء البشرية كلها إلى ظلاله الندية الوارفة ؟ أم نظامُ فاسد يتوجب على الخليقة جمعاء أن تفر من ناره المحرقة ؟ أسئلة دائرة وحائرة، والإجابات عليها بين أمانيّ طائشة وأحكام جائرة.

بداية .. لا يصح - ونحن نتعرض للحكم على نظام كهذا تعايشت معه الإنسانية دهراً فنعمت بخيراته وتعست بويلاته - أن نطلق الأحكام أو نلقي الأقوال جزافاً؛ فنحن مأمورون بالعدل في القول: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) (الأنعام 251)، ومن الصعب إصابة العدل إلا بالدراسة الموضوعية التي تبرز الإيجابيات تجاه السلبيات، وتظهر نقاط الاتفاق في مقابلة خطوط الافتراق؛ ولقد علمنا القرآن هذا المنهج العلميّ ولقننا هذا التجرد الخلقيّ في أكثر من موضع، كقول الله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) (آل عمران ٧٥).

والنظرة الموضوعية تقضي بأنّ الديمقراطية اتفقت مع الإسلام وافترقت عنه، اتفقت معه في (مبدأ الشرعية السياسية) أي حق الأمّة في اختيار من يحكمها، وافترقت عنه في مبدأ (السيادة) أي: "التفرد بالحق في إنشاء الخطاب الملزم" ففي النظام الإسلاميّ لا تكون السيادة إلا للشرع وحده، وفي الديمقراطية لا تكون السيادة إلا للشعب وحده، وهذا الاتفاق والافتراق هو سرًّ تميز النظام الإسلاميّ وتفوقه على الديمقراطية، وما عدا هذين المبدأين يدور بين مباديء إنسانية عامّة لا علاقة لها بأصل النظرية كالعدل والحريات وحقوق الإنسان، وبين آليات وأدوات وأمور فنية وتقنية، فأمّا الأولى فقد سبق الإسلام إليها وتميز بحسن الضبط وعمق التأصيل وعراقة التطبيق، وأمّا الثانية فهي متروكة للاجتهاد البشريّ توسعةً من الله على عباده؛ فلا يُثَرّب فيها على مبتكر أو مُقْتبس، كما لا يثرب في الفروع الاجتهادية الدائرة حول المباديء على مجتهد أو مقلد.



كل هذا الذي أقدمنا على إجماله وأحجمنا عن تفصيله ليس سوى مقدمة احترازية بين يدي موضوعنا؛ لئلا يذهب القراء في فهم المراد مذاهب بعيدة، أمّا المراد فهو الحكم على الواقع العمليّ للديمقراطية، وللعدل والإنـصـاف فـإنَّ أيّ نظام للحياة لا يُحكم عليه حكماً نهائياً بمجرد النَّظر إلى النماذج التطبيقية السيئة؛ فإنَّ النظام الإسلاميّ ذاته على عظمته وسموه قد أُسيء إليه بسبب النماذج التطبيقية الناقصة على مدى التاريخ فيما بعد عصر الراشدين، اللهم إلا إذا كان الحكم مبنياً على النظرة الكلية للنتائج الواقعية؛ ففي النهاية: البعر يدل على البعير.

فلو أننا لم نعلم من أدلة تميز النظام الإسلامي وتفوقه إلا ذلك الأثر الرائع على المسلمين خاصة وعلى البشرية كافة، لكان هذا الدليل كافياً للتسليم بعظمة هذا النظام وسلامته من العيوب والأخطاء.

فلقد انطلقت أمة الإسلام في ظل هذا النظام البديع في فجاج الأرض، انطلقت تحمل كل المبادئ التي لا يكون الإنسان إنسانا إلا بها، واندفعت في البشرية اندفاع عصارة الحياة في الشجرة الجرداء، فإذا بالأرض تهتز خضراً بعدل الإسلام ورحمته وسماحته، وإذا بشمس الحرية تشرق على هذا الكوكب الذي لفه ظلام الاستبداد أمداً طويلاً، وإذا بالشعوب تستقبل الفتح الإسلامي استقبال الأرض الجدباء لغيث السماء.

فعرف الإنسان قيمته، وتحققت له إنسانيته، وأدرك دوره في هذه الحياة أحسن الإدراك، وتحرك للقيام به أقوم التحرك، وتحرر من قيد العبودية للشهوات والأهواء، وأحس بعظمة هذه الحياة عندما تظللها شريعة الله، وعندما يكون الإنسان فيها متخلصاً من داعية هواه تابعاً لشرع مولاه.

ولم تعرف البشرية في تاريخها كله حقبة من الزمان تحققت فيها المثل العليا في واقع الأرض مثلما تحققت في صدر الإسلام، يوم أن كان المسلمون مستظلين بالحكم الإسلامي الرشيد، ولم يبتعد المسلمون عن هذه المثل ولم يهبطوا من هذه القمة السامقة إلا يوم أن خرجوا من تحت مظلة ذلك النظام العبقري الفريد.



» **وفي المقابل:** لو أننا لم ندرك من أدلة فساد الديموقراطية وإخفاقها إلا ذلك الأثر السيئ على الإنسانية، لكان هذا الدليل كافياً للتسليم بزيف الديموقراطية وبطلان ما بنيت عليه، وإذا كان كل إناء ينضح بما فيه، فإنه بقدر ما نضحت أمة الإسلام على البشرية خيراً وبلاً نضحت أمم الديمقراطية على البشرية شراً ووبالاً؛ فماذا حققت أوربا للإنسانية، وما الذي قدمته للبشرية، في ظل الديموقراطية وفي ظل شعارات الإخاء والحرية والمساواة؟

إن التاريخ الذي لا يكذب والواقع الذي لا يزيف ليشهد بأن أوربا التي بشرت بالديموقراطية واندفعت في ظلها تحمل الراية وتقود البشرية نحو عهد جديد وعصر وليد قد خذلت الإنسانية وأذاقت البشرية الويلات، فما كادت الثورة الفرنسية ترفع شعار الديموقراطية وما كاد مجلس الثورة يصدر وثيقة حقوق الإنسان حتى فوجئ المجتمع الإنساني بفرنسا تتقدم أوربا نحو حروب توسعية وحركات استعمارية نتج عنها ويلاتٍ كثيرة، إلى حد أن بلدًا واحداً كالجزائر تناقص عدد سكانه في سبع سنوات من أربعة ملايين إلى ثلاثة؛ بفعل الحرب التي شنتها على الجزائر ظلما وعدوانا [1].

وما كادت أوربا تتجاوب مع زئير الثورة الفرنسية وتتغنى في الأفاق بأنشودة الديموقراطية والإنسانية حتى فوجئ بنو الإنسان بجحافل الاستعمار الأوربي تدوس كرامة الإنسان وتنتهك حرمته، وتضرم الأرض من تحته ناراً متأججه، ولم تستفق أوربا من دفعتها المحمومة تلك إلا على الآثار المروعة للحربين العالميتين الأولى والثانية.

وكان أول من اصطلي بنار أوربا الديموقراطية أمريكا التي اصطلت البشرية بنارها بعد أن تولت قيادة العالم الديموقراطي، يقول مارتين دودج: «وهكذا كانت انجلترا مهداً للديمقراطية، غير أنها لم تمنح مستعمراتها الأمريكية مثل هذا الامتياز، وظلت تعامل سكانها كقطيع من السائمة، وألهبت القيود التي فرضت على المستعمرات من قوة الكفاح في سبيل الحرية، بدلاً من أن تقضي عليها وكان هذا، كما نعرف جميعاً السبب الذي شبت من أجله نار الثورة الأمريكية التي أسفرت عن قيام أقوى دولة في العالم الحديث هي: الولايات المتحدة الأمريكية» [2].

---

(١) انظر: المغرب العربي: دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، د. صلاح العقاد (ص١١٦).
(٢) قاموس المذاهب السياسية (ص٢٤).

ويوم أن قامت أمريكا وتولت زعامة العالم الديموقراطي، وقالت للناس إنها الراعية للديمقراطية، والمبشرة بها، كان شأنها مع الإنسانية عجيب ومريب، وكانت قصتها مع الأسرة البشرية دامية ومبكية، وإن الذي ابتلى به سكان هذا الكوكب على يد راعية الديموقراطية لم يكن ليقع عليهم بهذه القسوة لو أنهم تعرضوا لغزو من كوكب خارجي من مثل ما تصوره لنا السينما الأمريكية.

لقد بدأت (بركات!) هذا النظام تهطل على السكان الأصليين للقارة الأمريكية (الهنود الحمر) من الضيوف الديموقراطيين جدًا، بدأت بكتاب العملاق ليوردجاك ١٦٦٤ م الذي يشرع فيه الإبادة الجماعية لأصحاب الأرض، واستمرت على مدى قرن أو يزيد، فما أقلعت حتى آل أمر أمة من البشر بأكملها إلى ما يشبه الفناء التام(٣).

وبعدها دفعت رياح الديموقراطية بسحائب الويلات إلى القارة الأفريقية فأمطرتها على مدى الثلاث مائة سنة من ١٦٠٠ إلى ١٩٠٠ م، فكانت حصيلة الضحايا الأفارقة أكثر من مائة مليون ما بين مستعبد بكل ما تحمله الكلمة من معنى وقتيل في معارك الاصطياد أو في أقبية السفن أو تحت سياط التعذيب أو بفعل الرحلة الشاقة عبر الأطلس إلى غرب أوربا وإلى أمريكا (٤).

ثم أسلمت أمريكا زمام أمرها لذلك الجهاز اللعين الـ(cia) الذي نشأ في تربة الديموقراطية، والذي توسع في مفهوم الأمن القومي الأمريكي حتى أفقد البشرية أمنها وسلبها كرامتها: «فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى الآن هناك ٧٥ حربا وتدخلا عسكرياً ودعماً لا نقلاب عسكري، وكلها لا علاقة لها بالدفاع عن النفس وإنما للتوسع والسيطرة»(٥).

---

(٣) انظر: مجلة البيان عدد ١٧٥ (ص٦٠).

(٤) انظر: الإسلام في معركة الحضارة، منير شفيق (ص٥٦).

(٥) منير شفيق، الحياة ٢٠٠٢/٢/٢٤.



» ولقد خاضت أمريكا حروباً دامية ضد بلاد لم تطرف لها عين، وكانت نتائج كل هذه الحروب مروعة، حتى إنه بلغ العدد النهائي لضحايا الحرب الفيتنامية ٣.٦ مليونا[٦]، وكانت الخسة وانعدام الإنسانية هي الصبغة الغالبة في هذه الحروب، يقول نعوم تشومسكي: «لم يكن القتل العادي هو عمل القوات التي حركناها في نيكارجوا أو السفادور أو جواتميالا، ولكنه كان بصفة واضحة قتل القسوة والتعذيب السادي»[٧]، ويعترف (وليمام مولمي)، المشرف علي برنامج فينيكس في فيتنام بأن الذين استجوبوا بأساليب مرعبة من دق الخوابير الخشبية في أدمغتهم وإدخال المناظير المكهربة في إستهم وقطع الأصابع والآذان ثم الإلقاء من الطائرات كانوا نحو ٢٩ ألفا.

وأخيراً جاءت أمريكا الديموقراطية بجحافلها لتدمر العراق على أهلها وتحرق الأخضر واليابس في بلاد الرافدين؛ لمجرد هواجس - بل مزاعم - أن العراق بها أسلحة دمار شامل، ولما خربت الديار وقف أحد المفتشين الدوليين على أطلالها قائلاً: «إن إعلان البيت الأبيض في الشهر الماضي عن إغلاق ملف البحث عن الأسلحة العراقية وضع نهاية لأفدح حالة من الخداع الدول في العصور الحديثة»[٨].

أما عن التعذيب في جوانتانامو وأبو غريب، وعن الخطف والتسفير إلى سجون سرية في أوربا يتم فيها التحقيق بأبشع الوسائل التي لم تخطر ببال بشر فحدث ولا حرج، ويكفي بريطانيا التي تتيه بالديمقراطية فخراً أن الطائرات التي كانت تحمل المختطفين استعملت مطارات بريطانية أكثر من ٢١٠ مرة منها مطار بريستوك [٩].

هذه الانتهاكات الخطيرة لا يمكن أن ترضاها شعوب وأمم اختارت لنفسها نظاماً إنسانياً قائماً على القيم والمثل العليا، فإن كانت هذه الشعوب قد تم إقناعها بشرعية ما يحدث فهذا برهان على ممارسة الديموقراطية التزييف لإرادة الشعوب، وإن كانت هذه الشعوب غير مقتنعة بما يجري فهذا برهان على ممارسة الديموقراطية القهر لإرادة الشعوب، وعلى الحالين - الَّذين لا ثالث لهما - ليس لإرادة الشعوب دخل حقيقي في صناعة القرار الكبير؛ فأين - إذاً - هو حكم الشعب؟ وأين - إذاً - هي رقابته؟ وأين هي الديمقراطية؟!!

ولقد سيرت أوربا وأمريكا جحافلها للفتح الديموقراطي؛ فهل سعد العالم بما جاءته به؟ إن الدول الفاتحة، ظلت تتغنى بشعارات الديموقراطية، وتدعي أنها تحتل لتمدن وترقي، إلا أن تجربة حوالي مائتي عام، أثبتت ما يلي:

١- أن الاحتلال لم يرق بلدا، ولا مدَّن قطرا، وأن خروج قوات الاحتلال من هذا القطر أو ذاك، كشف آثار التدمير والنهب وتشوية البني الذي تركه الغازي المحتل.

٢- أن كل تعلق طلائع الشعوب المقهورة بأطروحات الديمقراطية الغربية، لم يؤد إلى قيام نظام ديموقراطي في أي قطر من أقطار العالم التابعة، سواء خلال وجود الاحتلال، أو بعد رحيله[١٠].

---

(٦) الـ(نيويورك تايمز) ١٩٩٧/١١/٨.

(٧) مجلة البيان عدد١٧٥ (ص٦١).

(٨) الـ(بي بي سي)٢٠٠٥/١/٢٧.

(٩) نيل ماكاي صحيفة the Sunday herald الاسكتلندية،٢٠٠٥/١٠/١٦م.

(١٠) الديمقراطية المفاهيم والإشكالات، ناجي علوش (ص٧٦).



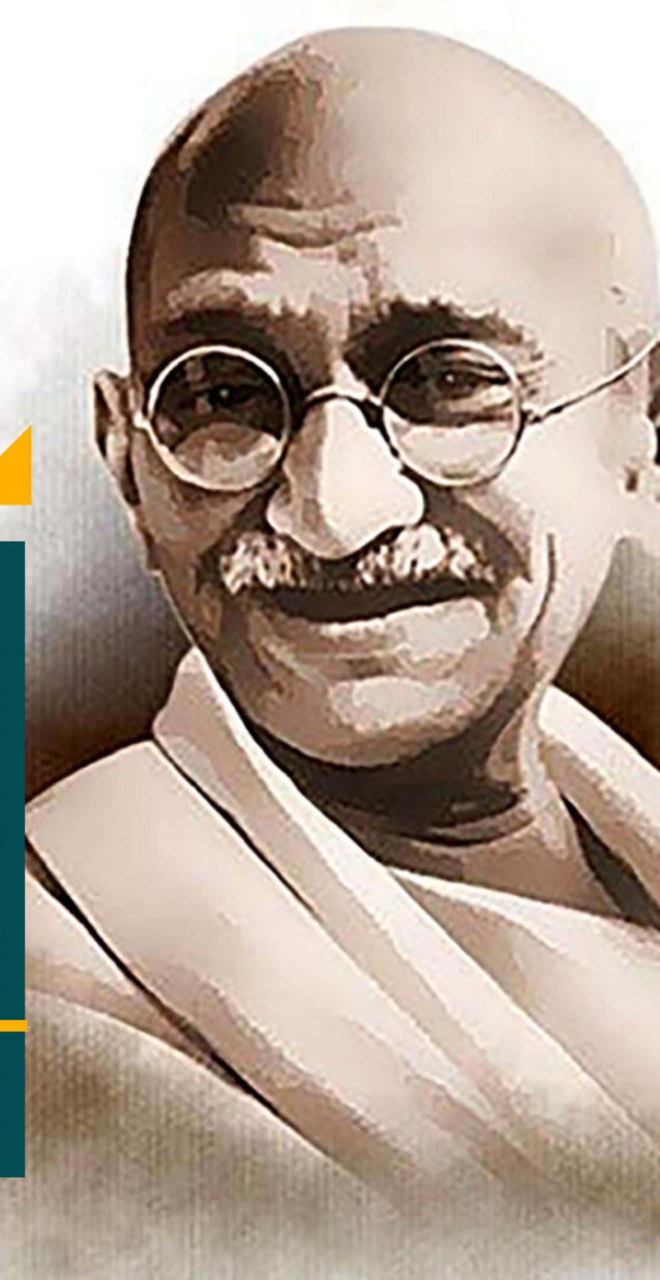
ولا يشك عاقل ولا سفيه في أرض الله كلها سهلها ووعرها - عدا أمريكا - في أن الشعب الأمريكي لو يعلم ويقدر لكان وضع السياسة الخارجية الأمريكية على عكس ما يجري، لو يعلم كم هي تضر بمصالحه، وكم هي ضد أمنه ورفاهيته، وكم هي غاشمة في عدوانها على البشرية وسافلة ومنحدرة في إهانتها للإنسانية، ولو يعلم كم هي حجم الخسائر البشرية في صفوف الأمريكان، وكم هي التداعيات الاقتصادية التي تسببها هذه الحروب لأمريكا، لو يعلم الشعب الأمريكي ذلك كله علماً نافياً للجهل، ويقدر على الوقوف في وجه هذه السياسة الراعنة قدرة مسقطة للعذر، لو يعلم ويقدر لما كان هذا الذي جرى ويجرى .

ولكنه إما أنه لا يعلم، فهو يتابع عن طواعية واختيار، وإما أنه لا يقدر فهو يتابع عن قهر وإجبار، فإرادته إما مزورة وإما مقهورة، فأين -إذاً - حكم الشعب؟ وأين -إذاً - حريته وإرادته؟ وأين - إذاً - ديمقراطيته التي يتغنى بها ؟ وما ينطبق على الشعب الأمريكي ينطبق على الشعب الانجليزي، وعلى غيره من الشعوب التي تنعم بالديمقراطية.

إن الإنسان في ظل الدكتاتورية أبكم لا ينطق، وفي ظل الديموقراطية يثغو أو يموء، وما الديموقراطية إلا صورة ناعمة من صور الديكتاتورية، حيث تمضي في نفس الدرب وقد حصرت السلطة في أيدي عصابة ظاهرة أو خفية، تصوغ القرارات وراء الكواليس، ثم تدفعها إلى الساحة باسم الشعب والشعب منها براء، وعنها جفاء. (يتبع)

فكرة السلم المطلق

إبراهيم السكران *



بعض غلاة المدنية يردد فكرة السلم المطلق، ويدعو إلى مواجهة مـشـروعـات الاحـتـلال العسكري الصريحة بلغة الحب ورحابة الصدر الأعزل، ونحو ذلك من الأفكار الحالمة المستلهمة من نموذج الحكيم الهندي المعروف "المهاتما غاندي"، وبعضهم يبالغ في تبجيل غاندي وعرضه كمخلص.

* مقال مقتطف للباحث الأسير/ إبراهيم السكران، من كتابه مآلات الخطاب المدني، ص٢٢٧-٢٣٤

والحقيقة أن شريعة الله سبحانه وتعالى أرقى وأحكم من شريعة غاندي، وهذا الموضع موضع خطير على الإيمان لتضمنه المعارضة العملية لمحكمات الوحي، فإن الله سبحانه وتعالى شرع البر للمسالم والإثخان للمعتدي، وقد أمرنا الله بذلك كما في قوله تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} [محمد : ٤]

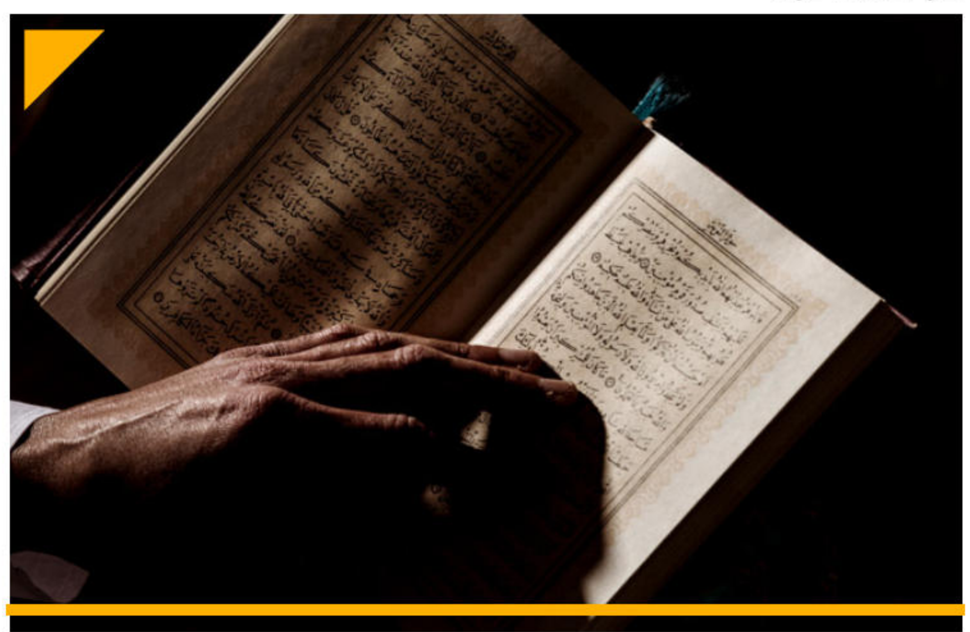
وفي موضعين من كتاب الله تعالى في سورتي التوبة والتحريم أمرنا سبحانه أمرًا صريحًا بالغلظة على المعتدين فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة : ٧٣]، [التحريم : ٩].

وأمرنا بالإثخان في قوله: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال : ٦٧].

وأمر سبحانه الملائكة بقوله: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال:١٢].

وأمر بالتشريد للمعتدين، فقال: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} [الأنفال:٥٧].

بل أن الله سبحانه وتعالى نهانا إذا نشبت المعركة مع المعتدي أن نبدأ الدعوة للسلام وإنهاء الحرب إذا كنا نحن الطرف الأقوى؛ فقال تعالى {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} [محمد : ٣٥]، وهذا توجيه إلهي صريح لا تستطيع كل تعسفات النظرية السلمية أن تفرغه من محتواه.



فإذا كان جبار السموات والأرض -كما في الآيات السابقة- يحثنا على مواجهة المحتل والمعتدي بالإثخان، والغلظة، وضرب الرقاب، والتشريد في الأرض، وعدم البدء بالدعوة للسلام، ويحببنا في هذه الأعمال الشريفة ويثيبنا عليها، فكيف يتجرأ عاقل ويستدرك على الله جل جلاله ويرى أن رأي رجل هندوسي وثني أحكم وأرقى؟!

والله لو امتلأ القلب بتوقير الله وقدره حق قدره لامتنع أصلًا أن يزاحم حكم الله بحكم رجل هندوسي، ولا يرتاب عاقل أن هذا الموطن الذي يقدم فيه حكم غير الله أن فيه شعبة من شعب النفاق التي حذر الله المسلم من الوقوع فيها، كما في قوله تعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} [النور : ٦٣].



هذا طبعًا من حيث علاقة فكرة السلم المطلق بنصوص الوحي، أما علاقتها بالواقع فهي فكرة رومانسية طريفة، ذلك أنَّ جمهور الأمم المعاصرة اليوم تمجد أبطالها القوميين ذوي البسالة في المعارك الكبرى، وترفعهم بحسب عبقريتهم في إزهاق الأعداء، وصناعة الانتصارات القتالية الحاسمة، وتبني لهم النصب التذكارية في مراكز المدن، وهذا أمر مشاهد معلوم.

بل من الظريف حقًّا أن صورة غاندي السلمية التي تروّج في خطاب اللّا عنف، ويُشغَّب بها على آيات الجهاد فى كتاب الله؛ أنّها أصلًا صورة غير دقيقة علميًا، بل هي صورة منقوصة، فغاندي نفسه تزلزل فى التمسك بفكرة السلمية المطلقة، فكل شعاراته عن اللا عنف تبخّرت لما شنت بريطانيا الاستعمارية الحرب على البويريين عام (١٨٩٩م) لإخضاعهم لاستعمارها، وخشي غاندي أنه إن رفض المشاركة مع البريطانيين فى حرب البويريين أن تتضرر قضيته فى الهند! فدخل فى "العنف" لأجل مصلحته القومية! بل عبَّأ الهنود لدعم العنف البريطاني الاستعماري، وأضخم أمر لافت فى ذلك الحدث أنه كان يعتقد بعدالة قضية البويريين أصلًا، ولكنه قبِل بممارسة العنف المسلح ضدهم لأجل مصلحة قومه،

وقد شرح غاندي بشيء من الخجل موقفه هذا، إذ يقول فى سيرته الذاتية:

"عندما أُعلنت الحرب كانت عواطفي الشخصية كلها مع البوير... إن ولائي للحكم البريطاني قادني إلى المشاركة مع البريطانيين فى تلك الحرب... ولقد كنت أعتقد آنـذاك أن الهند لا تستطيع أن تحقق تحررها الكامل إلا ضمن الإمبراطورية البريطانية ومن خلالها... وهكذا حشدت أكبر عدد ممكن من أصدقائي... والواقع أن الصلات التي نشأت بيننا وبين البيض، خلال الحرب، كانت من أحلى الصلات، فقد احتككنا بآلاف من الجنود البريطانيين، لقد كانوا وديين معنا، شاكرين لنا وجودنا هناك لخدمتهم" [غاندي، "قصة تجاربي مع الحقيقة"، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، (١٩٨١م): (٢٥١ - ٢٥٣).]

حسنًا..

لنسجل هاهنا هذه المعطيات: إن غاندي كان يؤمن بعدالة قضية البويريين، ولكنه لأجل مصلحته القومية دعم الحرب البريطانية الاستعمارية المسلحة ضد البويريين، وحشد الهنود لدعم العنف البريطاني الاستعماري، وحكى ذكرياته الجميلة مع الجنود البريطانيين فى حربهم المسلحة العنيفة.

ومن الحجج التي أصّل فيها غاندي المساحة التي يجوز فيها العنف مقارنته التي قال فيها: "أنا أعتقد فعلًا أنه إذا كان الخيار فقط بين الخَوَر والعنف، فإني سوف أوصي بالعنف"

Atack, Nonviolence in Political Theory, Edinburgh University Press, P. 161.

كما أنَّ غاندي بدأ يُظهر اللِّين مع الدفاع عن النفس بـ "السلاح" حين انفجر الصراع الإسلامي الهندوسي حيث قال غاندي:

"كان الناس سابقًا ينصتون لي حين كنت أعلمهم كيف يواجهون البريطانيين المسلحين بدون أسلحة، ولكن هذه الأيام بلغني أن فكرتي عن اللا عنف يمكن أن تكون غير مجدية فى مواجهة هذا الجنون الاجتماعي، ولذلك، فإن الناس يجب أن يسلحوا أنفسهم للدفاع عن النفس"

كما أنَّ غاندي نفسه أطلق عبارة جدلية ذهب الباحثون فى تفسيرها كل مذهب، حيث قال: "لو كان معنا قنبلة ذرية، لاستعملناها فى مواجهة الإنجليز" [.Ibid].

ومن المستغرب أن غاندي كان له لقاء معروف بموسوليني، ومراسلات، وأبدى إعجابه به. وكل هذه المواقف ونظائرها حاول محبو غاندي لاحقًا تأويلها لتفريغها من دلالتها على تأييد أي شكل من أشكال العنف، وهي شواهد يستعملها نقاد غاندي لرفض أيقنته كنموذج للسلمية المطلقة.

وبسبب كون الدولة الغربية دولة لا تفهم السلمية المطلقة أصلًا، بل هي دولة منغمسة في العنف حتى القاع، وتتنافس الدول الغربية في امتلاك السلاح الأفتك والأكثر إبادة بجيوشها الجرارة، سواء في الحروب العالمية بين الغربيين أنفسهم، أو في حروب الاستعمار بين الغربيين والشرق المسلم، ولذلك؛ فإن الصحافة الغربية حين ألقى غاندي بعض محاضراته فى أوروبا عن اللا عنف أمطرته بوابل من التهكم والسخرية، وخصوصًا حين نصح البريطانيين أن يواجهوا الغزو النازي باللا عنف، فانفجر عليه النقد البريطاني، ووصفوا كلامه بأقذع العبارات، حتى أن غاندي نفسه أبدى امتعاضه ونسب للصحافة الغربية أنها حرفت كلامه! وممن نقل نماذج طريفة من تهكم الصحافة الغربية بمحاضرة غاندي أستاذ الفلسفة الفرنسي جان مولر، وهو شخص متخصص فى اللا عنف ومهتم بشخصية غاندي [جان - ماري مولر، "غاندي المتمرد: ملحمة مسيرة الملح"، ترجمة: محمد عبد الجليل، دار معابر، (٢٠١١ م).].

[Pyarelal Mahatma Gandhi: The Last Phase Navajivan Publishing House 1956 Vol. II P. 326.].

ومن الثغرات المظلمة فى شخصية غاندي، موقفه المساند للنظام الطبقي system Caste ، حتى قال بعض الباحثين: "لماذا ساند غاندي النظام الطبقي على الرغم من بنيته التقسيمية؟ يعزو أمبدكار ذلك إلى الحسابات السياسية الضيقة لغاندي"

وهناك بعض اليساريين يفسرون موقف غاندي فى دعم العنف البريطاني ضد البوير، وموقف غاندي فى مساندة النظام الطبقي، أن ذلك كله بسبب علاقة غاندي التمويلية بالطبقة البرجوازية الهندوسية، وأنّها بسبب كونها تموله فهي بالتالي تتحكم فى دائرة خياراته السياسية، وهذا تفسير مطروح على كل حال، لا يعنينا فى شيء، وإنّ ما يعنينا هو الوقائع ذاتها.



ومن المواقف الخرقاء لغاندي أنه تبعًا لاعتقاداته النباتية الخرافية في منع أكل اللحم كاد أن يهلك زوجته، حين منع الطبيب من إطعام زوجته المريضة بشيء من منتجات اللحوم؛ حيث يقول غاندي:

"اجتمعت إلى الطبيب الذي أدلى إلي، فى هدوء، بهذا النبأ: "كنت قد أعطيت زوجتك السيدة غاندي مرق لحم البقر عندما هاتفتك"، فقلت: "لا، أيها الطبيب، أنا أدعو هذا خيانة" ..".

[Chakrabarty Social and Political Thought of Mahatma Gandhi Routledge 2006 P. 110.].

ثم قال غاندي للطبيب: "أنا لن أسمح لزوجتي بأن تعطى اللحم، أو لحم البقر، حتى ولو كان هذا الرفض معناه موتها، إلّا إذا رغبت بذلك".

وكانت زوجة غاندي غير قادرة على الحديث، ومع ذلك ذهب غاندي واستشار زوجته المريضة، فصادقت على رأى غاندي بالامتناع عن أكل اللحم، فقال الطبيب لغاندي: "يا لك من رجل غليظ القلب! كان ينبغي أن تخجل من مباحثتها بهذه المسألة وهي فى حالتها الحاضرة" [غاندي، "قصة تجاربي مع الحقيقة"،
ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، (١٩٨١ م): (٣٧٤ - ٣٧٥)].

والحقيقة:

أن الدراسات والمقالات الحديثة كشفت أوجهًا لغاندي يجهلها كثير من دعاة المدنية المادية، نظرًا لاعتمادهم على الكتب المناقبية السطحية.

والمراد أن الفكرة المنسوبة نظريًا لغاندي عن "اللا عنف" أنّها فكرة خيالية لا يوجد دولة اليوم فى الغرب أو الشرق تأخذ بها. فكل الدول الغربية والشرقية تتنافس فى جيوشها وأسلحتها، كما أنّ غاندي نفسه تخلى عن اللا عنف فى الأوقات التي رأى حينها مصلحته فى سلوك طريق العنف!

باختصار هذا جزء من الصورة المظلمة المغيبة لغاندي، الذي يرفع فى مواجهة آيات الجهاد فى كتاب الله!

وأتمنى أن لا يفوتنا فى مثل هذا الموضع التنبيه إلى أن مواجهة المحتل بالإثخان والتشريد ونحوها لا تعني الإخلال بأخلاقيات الجهاد الشرعي، كاستهداف أمن البلدان الإسلامية، أو انتهاك فريضة الله في المعاهَد والمستأمَن ومن له شبهة أمان، فهذا انحراف عن الجهاد الشرعي الشريف لا يخالف في ذلك أحد من فقهاء الإسلام المتقدمون أو المعاصرون ولله الحمد، وإنما الموفق من أخذ الكتاب كله ولم يقع في تبعيضه، فعمل بشريعة الإثخان والتشريد وراعى حقوق معصومي الدماء من المسلمين والمعاهدين والمستأمنين ومن لهم شبهة أمان، فإن التحرز في الدماء عنوان الديانة.

بل ما أقرب أن يُقال - والعلم عند الله - إنه ما استطال أهل الأهواء اليوم على الدعوة إلا بشؤم معصية الله في انتهاك أخلاقيات الجهاد الشرعي، فبعد أن كان أهل الدعوة في منعة لا يرقى إليهم الشَّكُّ أصبح الكثير منهم اليوم موضع الارتياب والرقابة، وتسلط عليهم كثير من أهل الباطل بالتعيير والتشنيع، وما أكثر ما تتسبب معصية فردية في ابتلاء عام يطول الأخيار وأفاضل الناس، ولذلك لما عصى الرماة هدي الله في الجهاد سلط الله الكفار حتى نالوا من رسول الله وكبار أصحابه، فكسرت رَبَاعِيتُه وشُجَّ في وجهه (صلى الله عليه وسلم)، ودخل في وجنته الشريفة حلقتان من حلق المغفر، كما قال تعالى: {وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران : ١٥٢].



فهذه العمليات المنحرفة التي استهدفت أمن البلدان الإسلامية واستهانت بضوابط الشريعة في عصمة الدماء، تسببت في تشويه الجهاد الملتزم بأخلاقيات الجهاد الشرعي وقيمه السامية، حتى أصبحت لا تكاد ترى من ينبس باسمه خوفًا من أن يجر بتهمة الإرهاب، وجرَّأت كثيرًا من السفهاء على أن يستهينوا بشيء من مضامين الوحي ما كانوا يتجرؤون على الإعلان بمثلها، فأي شؤم لتلك العمليات أكثر من ذلك؟!

فهذه سُنة كونية لآثار المعاصي على الدعوات لا يستوعبها العقل المادي وإنما يعقلها من امتلأ قلبه يقينًا بالآثار الغيبية، نسأل الله الكريم أن يتوب علينا جميعًا بواسع مغفرته ولا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.



سُئل: ما بيان الحكم الشرعى فى الصلح مع دولة اليهود المحتلة، وفى المحالفات مع الدول الاستعمارية والأجنبية المعادية للمسلمين والعرب والمؤيدة لليهود فى عدوانهم؟

فأجاب: يظهر من السؤال أن فلسطين أرض فتحها المسلمون وأقاموا فيها زمنا طويلا، فصارت جزءا من البلاد الإسلامية أغلب أهلها مسلمون، وتقيم معهم أقلية من الديانات فصارت دار إسلام تجرى عليها أحكامها، وأن اليهود اقتطعوا جزءا من أرض فلسطين وأقاموا فيه حكومة لهم غير إسلامية، وأجلوا عن هذا الجزء أكثر أهله من المسلمين. ولأجل أن نعرف حكم الشريعة الإسلامية فى الصلح مع اليهود فى فلسطين المحتلة دون نظر إلى الناحية السياسية - يجب أن نعرف حكم هجوم العدو على أي بلد من بلاد المسلمين، هل هو جائز أو غير جائز؟ وإذا كان غير جائز فما الذى يجب على المسلمين عمله إزاء هذا العدوان؟

إن هجوم العدو على بلد إسلامى لا تجيزه الشريعة الإسلامية مهما كانت بواعثه وأسبابه، فدار الإسلام يجب أن تبقى بيد أهلها ولا يجوز أن يعتدى عليها أي معتدٍ، وأما ما يجب على المسلمين فى حالة العدوان على أي بلد إسلامي فلا خلاف بين المسلمين في أن جهاد العدو بالقوة في هذه الحالة فرض عين على أهلها، يقول صاحب الـمُغْني: "يتعين الجهاد فى ثلاثة:

الأول إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان

الثاني إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم

الثالث إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير

ولهذا أوجب الله على المسلمين أن يكونوا مستعدين لدفع أي اعتداء يمكن أن يقع على بلدهم. قال الله تعالى: {وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم}. [الأنفال ٦٠].

فالاستعداد للحرب الدفاعية واجب على كل حكومة إسلامية ضد كل من يعتدي عليهم لدينهم، وضد كل من يطمع في بلادهم، فإنهم بغير هذا الاستعداد يكونون أمة ضعيفة يسهل على الغير الاعتداء عليها.

والخلاف بين العلماء في بقاء الجهاد أو عدم بقائه وفي أنه فرض عين أو فرض كفاية - إنما هو في غير حالة الاعتداء على أي بلد إسلامى، أما إذا حصل الاعتداء فعلا على أي بلد إسلامي فإن الجهاد يكون فرض عين على أهلها.



وقد بحث موضوع الجهاد الحافظ ابن حجر، وانتهى إلى أن الجهاد فرض كفاية على المشهور، إلّا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العد.. وإلى أن التحقيق أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم، إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه.



وعلى ضوء هذه الأحكام يحكم على ما فعله اليهود فى فلسطين بأنه اعتداء على بلد إسلامي، يتعين على أهله أن يردّوا هذا الاعتداء بالقوة، حتى يجلوهم عن بلدهم ويعيدوها إلى حظيرة البلاد الإسلامية، وهو فرض عين على كل منهم، وليس فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.



ولما كانت البلاد الإسلامية تعتبر كلها دارا لكل مسلم، فإن فرضية الجهاد في حالة الاعتداء تكون واقعة على أهلها أولا، وعلى غيرهم من المسلمين المقيمين في بلاد إسلامية أخرى ثانيا. لأنهم وإن لم يُعتدَ على بلادهم مباشرة إلا أن الاعتداء قد وقع عليهم بالاعتداء على بلد إسلامي هي جزء من البلاد الإسلامية.

وبعد أن عرفنا حكم الشريعة فى الاعتداء على بلد إسلامى يمكننا أن تعرف حكم الشريعة فى الصلح مع المعتدي هل هو جائز أو غير جائز؟ والجواب أن الصلح إذا كان على أساس ردّ الجزء الذى اعتُدي عليه إلى أهله كان صلحا جائزا، وإن كان على إقرار الاعتداء وتثبيته فإنه يكون صلحا باطلا؛ لأنه إقرار لاعتداء باطل، وما يترتب على الباطل يكون باطلا مثله.

وقد أجاز الفقهاء الموادعة مدة معينة مع أهل دار الحرب أو مع فريق منهم إذا كان فيها مصلحة للمسلمين؛ لقوله تعالى: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله}. [الأنفال ٦١]، وقالوا إن الآية وإن كانت مُطْلقة لكن إجماع الفقهاء على تقييدها برؤية مصلحة للمسلمين فى ذلك بآية أخرى هو قوله تعالى: {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون}. [محمد ٣٥].

فأما إذا لم يكن فى الموادعة مصلحة فلا تجوز بالإجماع. ونحن نرى أن الصلح على أن تبقى البلاد التى سلبها اليهود من فلسطين تحت أيديهم وعلى عدم إعادة أهلها إليها لا يحقق إلا مصلحتهم، وليس فيه مصلحة للمسلمين. ولذلك لا نجيزه من الوجهة الشرعية إلا بشروط وقيود تحقق مصلحة المسلمين، أما هذه الشروط والقيود فلا تتعرض لها، لأن غيرنا ممن اشتغل بهذه القضية أقدر على معرفتها وبيانها على وجه التفصيل منا.



والجواب عن السؤال الثاني: أن الأحلاف والمعاهدات التى يعقدها المسلمون مع دول أخرى غير إسلامية جائزة من الناحية الشرعية إذا كانت في مصلحة المسلمين. أما إذا كانت لتأييد دولة معتدية على بلد إسلامي كاليهود المعتدية على فلسطين فإنه يكون تقوية لجانب المعتدي يستفيد منه هذا الجانب فى الاستمرار في اعتدائه، وربما فى التوسع فيه أيضا، وذلك غير جائز شرعا.

ونفضل على هذه الأحلاف أن يتعاون المسلمون على رد أي اعتداء يقع على بلادهم، وأن يعقدوا فيما بينهم عهودا وأحلافا تظهرهم قولا وعملا يدا واحدة تبطش بكل من تحدثه نفسه بأن يهاجم أي بلد إسلامي.

وإذا أضيف إلى هذه العهود والمواثيق -التى لا يراد منها الاعتداء على أحد وإنما يراد منها منع الاعتداء- السعى الحثيث بكل وسيلة ممكنة فى شراء الأسلحة من جميع الجهات التى تصنع الأسلحة، والمبادرة بصنع الأسلحة فى بلادهم لتقوية الجيوش الإسلامية المتحالفة.. فإن ذلك كله يكون أمرا واجبا وضروريا لضمان السلام الذى يسعى إليه المسلم، ويتمناه لبلده ولسائر البلاد الإسلامية بل ولغيرها من البلاد غير الإسلامية.

ويظهر أن لليهود موقفا خاصا، فلم يعقد مع أهل فلسطين ولا أية حكومة إسلامية صلحا ولم تجل بعد عن الأرض المحتلة وهي موجودة بحكم سياسي هو الهدنة التى فرضتها الدول على الفريقين، ونزلت على حكمها الحكومات الإسلامية إلى أن يجدوا حلا عادلا للمسألة، ولم يرض بها اليهود ونقضوها باعتداءاتهم المتكررة التي لم تعد تخفى على أحد. وكل ما فعله المسلمون واعتبره اليهود اعتداء على حقوقهم هو محاصرتهم ومنع السلاح والذخيرة التى تمر ببلادهم عنهم. ولأجل أن نعرف حكم الشريعة فى هذه المسألة نذكر أن ما يرسل إلى أهل الحرب نوعان: النوع الأول السلاح وما هو فى حكمه. الثانى الطعام ونحوه، وقد منع الفقهاء أن يرسل إليهم عن طريق البيع السلاح، لأن فيه تقويتهم على قتال المسلمين، وكذا الكراع والحديد والخشب وكل ما يستفاد به في صنع الأسلحة، سواء حصل ذلك قبل الموادعة أو بعدها، لأنها على شرف النقض والانقضاء فكانوا حربا علينا، ولا شك أن حال اليهود أقل شأنا من حال من وادعهم المسلمون مدة معينة على ترك القتال، وعلى فرض تسمية الهدنة موادعة فقد نقضها اليهود باعتداءاتهم. ونقض الموادعة من جانب يبطلها ويحل الجانب الآخر منها.

وأما النوع الثانى فقد قالوا إن القياس يقضي في الطعام والثوب ونحوهما بمنعها عنهم، إلا أنا عرفنا بالنص حكمه، وهو أنه صلى الله عليه وسلم أمر ثمامة أن يمير أهل مكة وهم حرب عليه، وقد ورد النص فيمن تربطه بالنبى صلة الرحم، ولذلك أجابهم إلى طلبهم بعد أن ساءت حالتهم. وليس هذا حال اليهود في فلسطين.

ولذلك نختار عدم جواز إرسال أي شيء إليهم أخذا بالقياس، فإن إرسال غير الأسلحة إليهم يقويهم ويغريهم على التشبث بموقفهم الذى لا تبرره الشريعة.

والله تعالى أعلم.



أبو مصعب السوري.. شاهد على التجربة الجهادية بالجزائر

- معتز زاهر -

في هذا المقال نستعرض خلاصة مركزة لشهادة القيادي الجهادي أبي مصعب السوري على التجربة الجهادية الجزائرية، وقد ألف كتاباً بعنوان: مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر (١٩٨٨- ١٩٩٦)

في الباب الأول ذكر نبذة تاريخية موجزة عن الجزائر واحتلال فرنسا لها، وفي الباب الثاني تحدث عن الانتخابات وصولاً إلى الانقلاب العسكري وما أنتجه من انطلاق العمل المسلح بها.

أما الباب الثالث فقد تحدث فيه السوري عن نشأة الجماعة الإسلامية المسلحة والجيش الإسلامي للإنقاذ، وسير الأحداث، وقد ذكر الحقائق التالية:

تولى أبو عبد الرحمن أمين قيادة الجماعة الإسلامية المسلحة، ومع توليه بدأت كثرة البيانات الصادرة عن الجماعة، وصعّدت المواجهة مع الشرائح المدنية ذات العلاقة مع هيكل الدولة، مثل أجهزة الإعلام، بدءًا من الوزير ووصولًا إلى باعة الجرائد في الشارع، ومثل قطاع التعليم كذلك وصولًا للأساتذة والمدارس والطلاب، وكذلك وزارة النفط وصولًا للعمال الذين يملؤون السيارات بالبترول!

- أواخر سنة (١٩٩٥) تجرأ أبو عبد الرحمن أمين وقياداته المنحرفة على اغتيال بعض المجاهدين، ثم أتبع عبد الرحمن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحكومية، فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم على أنهم مرتدين!

- استغلت أجهزة الاستخبارات الجزائرية هذه الأجواء -التي تكشف فيما بعد أنها هي التي سعت إليها وأوجدتها- ودسّت العملاء في قيادة الجماعة التي ربما كان أمين واحدا منهم، وأتبعت الحكومة ذلك بتنظيم سلسلة من المجازر المروعة في المدنيين ولم توقر عجوزًا ولا امرأة ولا طفلًا، في تلك المجازر الوحشية التي جرت خلال (١٩٩٦ - ١٩٩٧).

- مع تشرذم المجاهدين وانفضاض الناس عنهم وزهدهم بالمشروع الجهادي بل والإسلامي، وصلت المخططات الاستخبارات الجزائرية والخارجية إلى مبتغاها، فأطلقت برنامجا للاستسلام، بدعوى العفو عن المسلحين الذين يلقون سلاحهم، وكان جيش الإنقاذ بقيادة مدني مرزاق أول المستجيبين لما عرف بنداء الوئام الوطني، وتبرع عدد من علماء المسلمين في الخارج ليدعموا نداء الدولة للاستسلام.

اختلط الحابل بالنابل في ساحة الصحوة الإسلامية كلها بسبب التجربة الجهادية الجزائرية، لتصبح شاهدا لكل من يريد أن يدلل على رأيه في فشل خيار الجهاد!

وفي الباب الرابع يتحدث السوري عن علاقته بتجربة الجهاد في الجزائر، ويشير إلى نقاط مهمة، ومنها:

- بعد وصولي لندن وانهماكي في العمل مع خلية لندن الجزائرية، سرعان ما اكتشفت تميز عملهم بالفوضى، وانعدام الحس الأمني تمامًا، وكان جلهم من الأغرار حديثي العهد بالالتزام الديني، فضلًا عن ضحالة مستوى معظمهم في مخلف مناحي المعرفة الدينية والدنيوية.

- رغم أن أبا قتادة الفلسطيني لم يكن من الجهاديين، ولم يكن له أي ماض في ذلك الميدان، ولكن خلفيته السلفية وحماسه الخطابي وتبنيه لأفكار الجهاديين، والتعطش في أوساط الجهاديين لأي عالم أو طالب علم يدعم منهجهم ويسد حاجتهم، قدمه لذلك الوسط بصفته شيخًا ومرجعا جهاديًا.



مفرزة صغيرة من الدرك والأمن الجزائري اعتقلت الشيخ عباسي مدني من مكتبه بلا أدنى مقاومة، وُذكر أنه لما عرض عليه أنصاره الفرار من محاولة الاعتقال، أبى وقال إنه لن يهرب كاللصوص وسيواجههم لأنه يمثل شرعية أمة! وذهب معهم ولبث في السجن بضع سنين، وكرر نائبه الشيخ علي بلحاج الخطأ بصورة أكثر درامية، فقد سعى إلى دار الإذاعة ليناظر العسكر في عدم مشروعية اعتقال من انتخبه الشعب، وفي شرعية الجبهة وأحقيتها لانتخاب الشعب لها بأكثرية ساحقة وبعدم مشروعية الانقلاب! ولم يعد الشيخ من تلك المناظرة إلى الآن (وقت كتابة الشهادة ٢٠٠٤) وقد مضى على الحدث ١٤ عاما.

بدا جليًا أن الأنظمة العربية تساعد النظام الجزائري، وأن الجهات المعنية مباشرة بمكافحة الإرهاب الإسلامي كما اصطلحوا عليه تتعاون مباشرة معه، مثل مصر وسوريا وتونس والسعودية. وكانت بصمات الاستخبارات الفرنسية أوضح، وكذلك الدعم الدولي للحكومة العسكرية.

الجهاديون في لندن كانوا يعتقدون أن بريطانيا ستسمح لهم بالنيل من السياسة الفرنسية الداعمة للنظام في الجزائر. وأن ذلك يدخل ضمن الصراع التاريخي بينهما، وهكذا بسطوا المسألة واعتقدوها بكل سذاجة.



- كان أبو قتادة من أتباع جماعة التبليغ والدعوة قبل أن يتحول إلى الفكر السلفي، فكان يحب الاجتماعات الواسعة، ويفتتح البيوت السرية الخاصة بالعمل، بالولائم الجماعية، ورغم ما يوفره هذا الأسلوب له من حميمية الأجواء وكثرة الأتباع، إلا أن إشكالاته الأمنية مسألة لا تخفى.

- بنى موقفه الذي نشره في نشرة الأنصار على تخيلاته وأحلامه بأن الصفوف قد تمايزت في الجزائر، صف أهل الإيمان الذي يحمل راية السلف والسلفية بقيادة (أبو عبد الرحمن أمين)، وصفّ الحكومة ومن أيدها إجمالا والذي يمثل راية المرتدين. وصف الإنقاذيين ومن يريدون العودة للبرلمان، وقد صرح وكتب جهارا بأنه يكفرهم عن بكرة أبيهم، ونشر في إحدى مقالاته في الأنصار، وقال بأن المدن والقرى الجزائرية قد تمايزت أيضا، فهي في هذا المعسكر أو ذاك، وقد أهدر بموجب ذلك دماء كل مكونات معسكر الردة ولاسيما الميليشيات القروية المسلحة من قبل الحكومة والتي تبين فيما بعد أن أكثرهم قد حمل السلاح ليدافع عن نفسه وعرضه ضد عدوان عصابات أمين وهجمات الاستخبارات والجيش باسمهم!

- كان أبو قتادة يشرف على نشرة الأنصار بشكل كبير، ويكتب في كل عدد في أكثر من مجال، ولكنها سرعان ما تحولت إلي مواضيع الصراع والتناقض بين المنهج والفكر السلفي، وغيره من مناهج الحركات والمذاهب الإسلامية من أهل السنة وغيرهم، وعبثًا حاولت وغيري أن نُفهمه أن هذه المعارك لا فائدة منها الآن، ولكن أي اعتراض على الشيخ السلفي الثائر كان محفوفا بوشم صاحبه بالبدعة.

أحدثت بعض المسائل الشاذة التي قال بها أبو قتادة زلازلًا في أوساط الإسلاميين في لندن وخارجها، كفتواه في جواز قتل النساء والأطفال من أسر رجال الأمن والسلطة ردًا على أفعال تلك الأجهزة بأهالي المجاهدين.

وجاء صيف ١٩٩٥ وفيه داهمت قوات مكافحة الإرهاب البريطانية مقر نشرة الأنصار، واعتقلت بعض العاملين فيها وصادرت محتويات البيت، وكانت الضغوط الفرنسية قد تزايدت على لندن بعد سلسلة التفجيرات التي قامت بها الجماعة المسلحة في فرنسا، وتتابعت من الجزائريين، ومن إدارة نشرة الأنصار ممارسات كثيرة لا تحترم وتقدر حدود الهامش الذي نجلس عليه في لندن، واضطررنا جميعا للتواري ووقف نشاطنا لفترة وجيزة.

كان قتل الغلاة للشيخ محمد السعيد وإخوانه، ثم تبرير هذا وتسويغه من أبي قتادة وإدارة الأنصار في نشرتهم، آخر المطاف معهم من جهتي ومن جهتهم. فقد تبين لي أن أمر الأنصار قد آل لمجموعة رعاع لا يقدرون تبعات ما يفعلون لا شرعا ولا سياسة ولا عقلا ولا أمنيا ولا على أي مقياس، وبالنسبة لهم كان أسهل شيء لديهم أن يرمونني بالجبن والتخاذل وفساد العقيدة وتنكب طريق السلفية.

بدأت أعمل مع كبار الإخوة في لندن على ضرورة كشف تلك الجماعة المنحرفة والبراءة منهم، ودعوة المجاهدين للخروج عليهم في داخل الجزائر ووقف دعمهم من الخارج، ولكن أوساط الجهاديين، وحتى بعض كبارهم كانت تخشى على مسار الجهاد ذاته، وتفضل أسلوب نصيحتهم بالحجة الشرعية! وكنت أقول لهم وكذلك صاحبي من جماعة الجهاد، بأنكم ستنصحون المخابرات! إننا نتعامل مع استخبارات جزائرية ودولية في هذه المعركة!

بعد فترة وجيزة قُتل أبو عبد الرحمن أمين، وسجد الأكثرون شكرًا لله؛ لأن الأمة استراحت من جزار الدجاج العنيد، ولأننا برئنا منه قبل موته، وتولى بعده سفاح أسوأ منه، سرعان ما جاهر بالضلال والإجرام، وصار أمير الجماعة (عنتر الزوابري) الذي أصدر بيانا يكفر فيه الشعب الجزائري برمته صراحة ويشتمهم بأقذع الألفاظ، وانفض الجميع عن دعم ذلك الكابوس.

هكذا وقعت وأمثالي من الجهاديين بين نارين، نار أعداء الجهاد في الجزائر وغير الجزائر من الديمقراطيين الإسلاميين الذين يجرون وراء السراب، ويحاربوننا لأجله، ونار السقوط السريع في الانحرافات من قَبل من استولوا - بإشراف المخابرات - على قيادة القضية التي ننصرها، وعدم إمكانية التأكد الفوري مما يجري على بعد آلاف الكيلومترات.

تسارعت الأمور، في مدة وجيزة، فما بين استيلاء أمين وبداية انحرافاته، وبين براءتنا منه وإعلان ذلك في الصحافة زهاء ٨ أشهر. وهي فترة قياسية في استدراك مثل هذه المأساة.

أؤكد على أمر بالغ الأهمية، وهو أني تنبهت للانحراف في وقت مبكر - بحكم الخبرة التنظيمية والتجارب الأمنية وذلك فضل الله -، وحَدَسْتُ مبكرا بإمكانية دخول الاستخبارات الجزائرية على خط قيادة الجماعة، ولولا أن أبا قتادة فرض على مؤيدي الجماعة في لندن جو الإرهاب الفكري، لكان بالإمكان أن يبكر موقفنا بالبراءة منهم أشهرا قبل ذلك. كما أن طيبة الأوسط الجهادية وترجيح العواطف وحسن الظن بالإخوة كما كانوا يقولون، ساهم بالتأخير، بل إن بعض كبار الجهاديين طالبنا بتأخير البراءة منهم بعد أن جاءت الأدلة بجرائمهم وكتبنا البيانات، وقالوا: نرسل لهم رسالة نصيحة! فإن لم يستجيبوا أعلنا البيانات! ولكن موقفي وبعض الإخوة كان صارما وحدّيا، وقلنا لهم بأننا لسنا من الحمق حتى ننصح الاستخبارات التي تقود الجماعة الآن.

وفي الباب الخامس والسادس يختم السوري كتابه بتلخيص ما ذكره في الأبواب الأربعة السابقة، وينتهي إلى تقرير قناعته بأن "جميع الإسلاميين في مركب واحد مستهدف من قبل الأعـداء وأن ما شجر بينهم من الخلاف وسيلته الحوار".

klmtuhaq



www.klmtuhaq.blog

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
معتـز زاهــر